وزارة التعلـيم العالي والبحــث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر- سعيدة-

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية

قســـم: اللغة العربيـة وآدابهـا

تخصص: لسانيات عـــامـة

مذكـــرة تخـــرج لـــنيل شـهـــادة ليســـانـس

جماليات البديع في الربع الأخير من القـرآن الكـــريـم

إعـداد الطالبيـن:

عـويسـى جميلـة

عـساس ولـيـد

الأستاذ المشرف:

أ. شعيب يـحـيى

السنـــة الجامعـــــــــية:

2017-2018/1437_ 1438 هـ

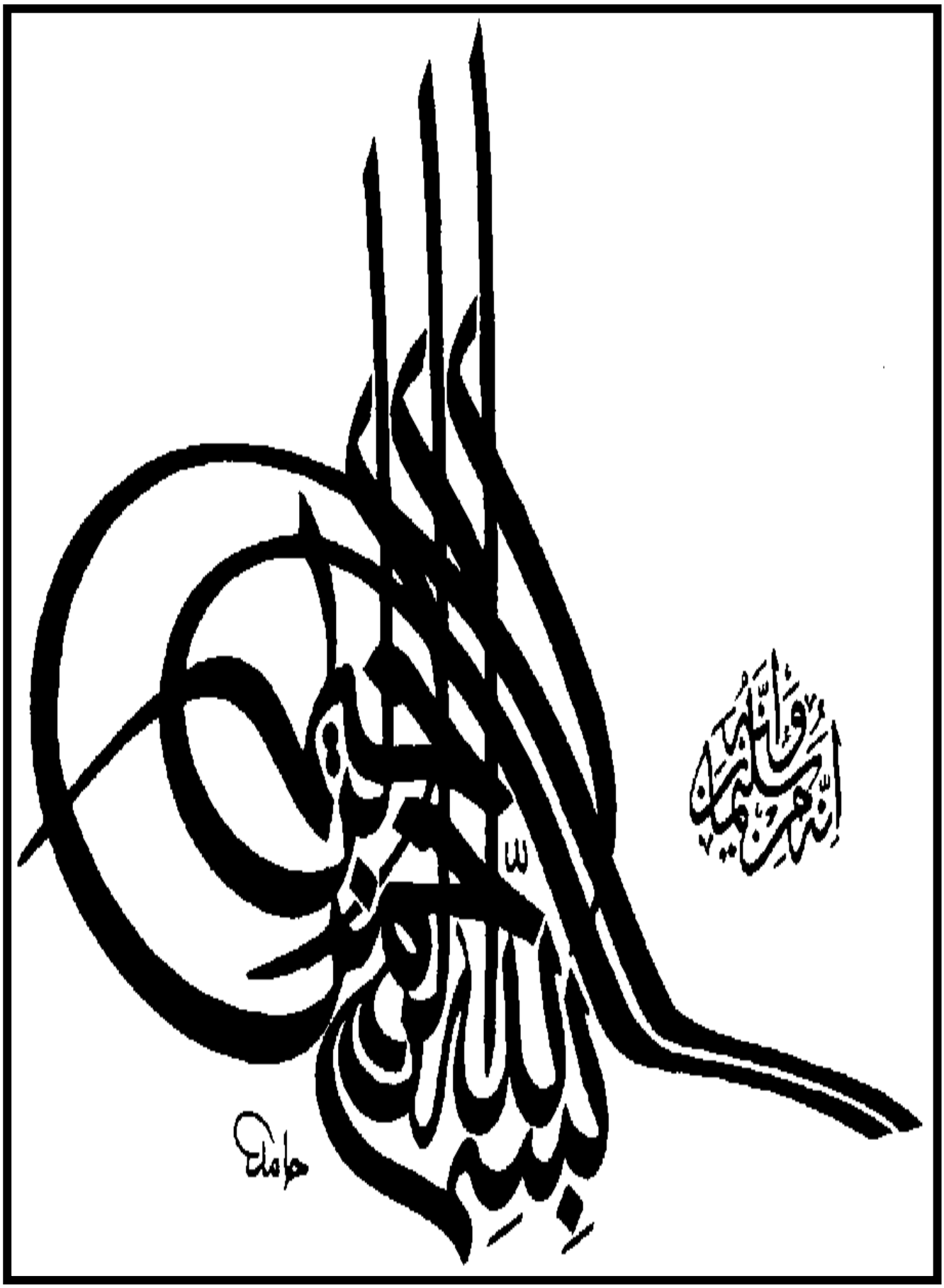
بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه
حامد

شكـــر وامتـــنـان

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى أصحابه وآله وأتباعه وسلم.

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع، نتقدم بجزيل الشكر إلى من شرفنا بإشرافه على مذكرة بحثنا الأستاذ الدكتور "**شعيب يحي**" الذي لن تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائه حقه بصبره علينا ولتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن، والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام واستكمال هذا العمل، الذي كلما أظلمت الطريق أمامنا لجأنا إليه فأنارها، وكلما طلبنا كمية من وقته الثمين وفره لنا بالرغم من مسؤولياته المتعددة، ونتوجه بالشكر الخاص إلى الإنسانة التي ساعدتنا في كتابة هذه المذكرة الأخت "نجاة حجاز" حفظها الله، كما لا ننسى الأخ الذي مد لنا يد المساعدة صاحب المكتبة السيد" **قاسمي الطيب**" كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل.

﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحيـــن﴾

فلكم جميعا جميل الشكر والعرفان.

الإهـــــداء

لبســـــم الله الرحمن الرحيـــــم

أهدي عملي هذا إلى عائلتي الكريمة ،وخاصة والدي الكريمين حفظهما الله "**أمي وأبي** "العزيزين، وكذلك أخي وأخواتي وكل عائلتي الكبيرة "**عساس**"

كما لا أنسى من ساعدتني في عملي وهي زميلتي في المذكرة التي ساعدتني في إعدادها والتي تعلمت منها الكثير وأشكرها جزيل الشكر "**عويسي جميلة**"

كما أشكر الأستاذ الفاضل "**شعيب يحيى**".

ولا يفوتني تسجيل شكري ودعائي لجميع زملائي الذين درست معهم وقضينا ثلاث سنوات جميلة، ويعود الفضل والشكر كله لله عز وجل على نعمه العظيمة.

وليـــــد

الإهـــداء

أحمد الله عز وجل على نعمه وعونه لإتمام هذه المذكرة.

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي صبر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة,

أبـــي وسيدي "**عويسي محمد**" الغالي على قلبي أطال الله في عمـره.

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني حق الرعاية وكانت سندي في الشدائد وكانت دعواها لي بالتوفيق تتبعني خطوة خطوة في عملي **أمـــي** أعز ملاك على القلب والعين "**رقيـة**"وأمي الثانية "**دنيا**" جزاهما الله عني خير الجزاء في الدارين.

كما لا أنسى إخوتي وأخواتي الذين تقاسموا معي عبء الحياة (أحمد، بومدين، عبد اللطيف، إسماعيل، نعيمة، صباح، نبيلة، شهرة، حورية، نجاة، إيمان، نصيرة، زهرة) وحفيدات العائلة وخاصة "**ريتاج نور اليقين**". وإلى زميلي الذي رافقني في هذا العمل " **عساس وليد** "

ولا يمكنني أن أنسى أو أتناسى صديقاتي وحبيبات قلبي اللواتي قاسمنني العيش في الحرم الجامعي وكذلك إلى حبيبة القلب " **فاطنة بلفرح** ".وإلى أخواتي اللواتي قاسمنني مجال الدعوة إلى الله ورسوله بنات مصليات فاطمة الزهراء وعائشة أم المؤمنين وخديجة بنت خويلد.

وإلى كل من عرفني من قريب أو بعيـد.

جـميلة حبوبة

خـــــطـــــة البحـــث

المـقـــدمـة

المـــدخـل: نشأة علم البديع في أحضان علم البلاغـة

الفصل الأول: البـديـع ماهيـتـه وفـنـونـه.

المبحث الأول: تعريف علم البديع.

المبحث الثاني: الفنون البديعية.

المطلب الأول: المحسنات المعنوية.

المطلب الثاني: المحسنات اللفظية.

الفصل الثاني: أثر البديع في الربع الأخير من القرآن الكريم.

المبحث الأول: أثر فنون البديع في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المحسنات البديعية في الربع الأخير من القرآن.

المطلب الأول: نماذج تطبيقية في المحسنات المعنوية.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في المحسنات اللفظية.

الخـاتـمـة.

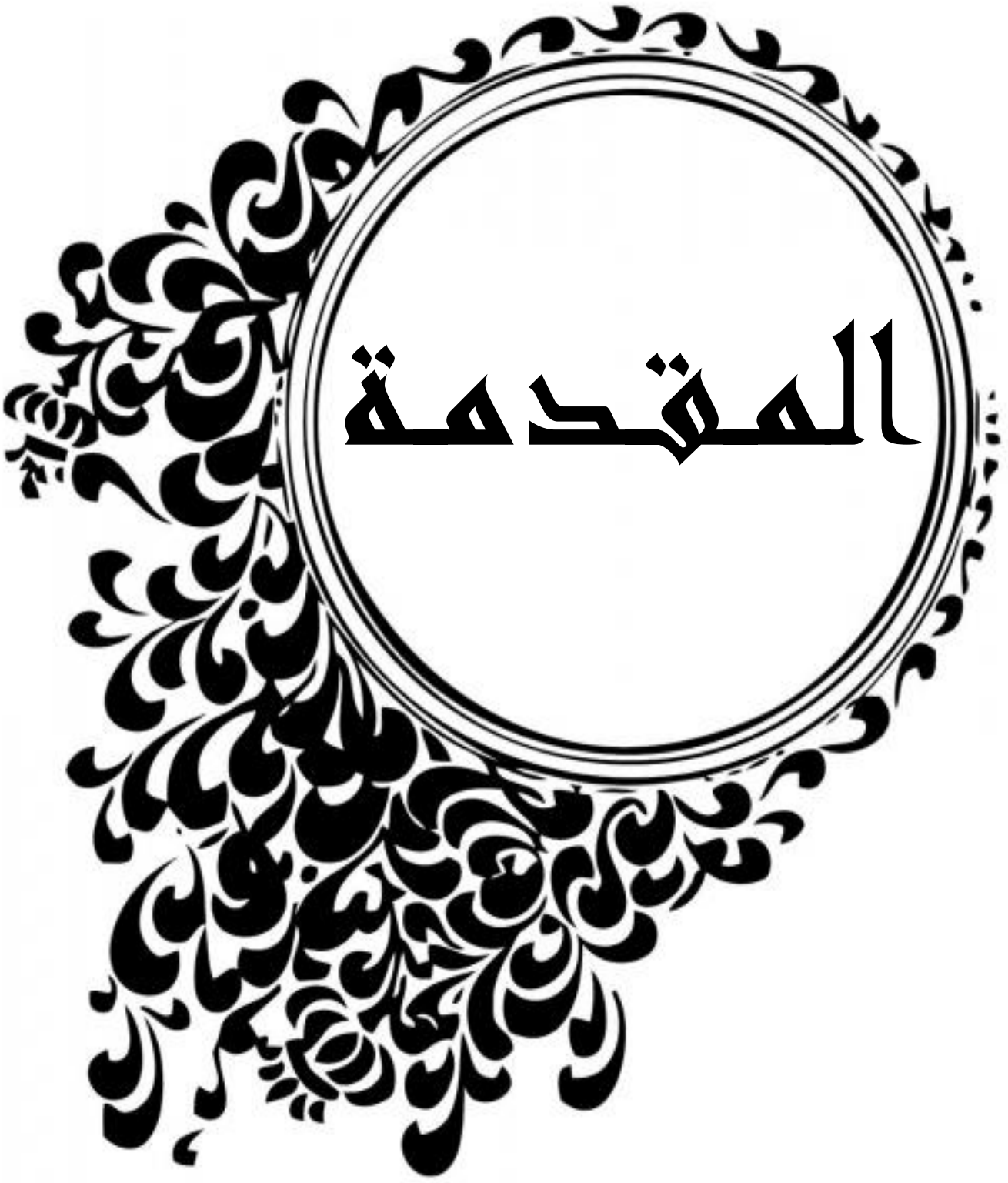
المقدمة

إن إعجاز القرآن أمر متعدد النواحي متشعب الاتجاهات، ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد، ولا حتى جماعة في زمان ما مهما كانت سعة علمهم واطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم، وإنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحا للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل، وسيجد أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته، ما لم يخطر لنا على بال. ونضرب مثلا لتعدد نواحي الإعجاز إنه الإعجاز اللغوي، فإننا نعلم أن علماء البلاغة لم يقصروا في محاولة تبيان إعجاز القرآن الكريم، ودراسة بلاغته واختيارات الألفاظ في القرآن ودقتها في الدلالة على دقة التشريع ورفعته ما لا يصح استبدال غيرها بها، وإن اختيار هذه الألفاظ في بابها أدق وأعلى مما أتى به العرب من اختيارات لغوية وفنية وجمالية، فتوصلوا في مجملهم إلى خلاصة مفادها أن البلاغة بكل فنونها قد وظفت في النص القرآني توظيفا لا مثيل له ما جعل القرآن بالنسبة لهم مرجعا فريدا من نوعه يستشهدون به في دراساتهم، وما سنتطرق إليه في دراستنا هو أحد هذه الفنون البلاغية وأهمها، إنه فن البديع فما هو البديع وما مدى أثره في القرآن على اعتبار أنه قد حصل لغط كبير بين البلاغيين القدماء وحتى المحدثين منهم على أن البديع لم يكن أحد الفنون البلاغية التي كان لها أثر في القرآن الكريم فيما ينفي الطرف الآخر من علماء البلاغة ذلك. وهذا ما دفع بنا إلى استقصاء هذا الموضوع،

محاولين بكل ما أوتينا من جهد الوصول إلى ما يفك هذا، وهذا ما حاولنا استيفاءه في ذلك لمعرفة إجابات لهذه التساؤلات:

- **هل كان البديع في الأصل أحد فنون البلاغة عند البلاغيين؟**
- **وما مدى حضور البديع في القرآن الكريم؟**
- **وهل كان له أثر واضح في الإعجاز القرآني؟**

وللإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدنا في بحثنا هذا، على المنهج التاريخي وكذا المنهج الوصفي التحليلي، المرتكز على الاستقصاء والبحث للحصول على أكبر عدد من المعلومات، التي تساعدنا في فك هذا الغموض، والوصول إلى نتيجة منطقية مبنية على ما توصل إليه أهل الاختصاص، وهم البلاغيون، القدماء منهم والمحدثون وحتى علماء الكلام.

وإن لكل بحث صعوبات تعتريه، فكل عمل يقوم به الإنسان بالضرورة يكون ناقصا، لكن بالرغبة والإرادة يدرك المرء ما يشتهيه، ومن بين الصعوبات لتي واجهتنا نذكر أهمها: تشابه المعلومات في جل الكتب التي اعتمدنا عليها، صعوبة استخراج المحسنات البديعية من الربع الأخير من القرآن الكريـم، كثرة المادة البحثية في هذا الموضوع مما أشكل علينا البحث فيه.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجـع نذكر أهمها:

(البديع، ابن المعتز) (أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني) (محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير).

وقد اعتمدنا في ذلك على الخطة التالية: فقد استهللنا بحثنا هذا، بمقدمة يأتي فيها بيان ما سيكون عليه البحث شكلا ومضمونا. لنتبعها بمدخل يمهد لنا الدخول في موضوعنا مباشرة، ثم ارتأينا بعدها أن نقسم بحثنا إلى فصلين حسب ما وجدناه مناسبا لطرح الموضوع ومعالجته بالشكل المناسب.

فبالنسبة للفصل الأول، فقد تعلق بالبديع، وجاء تحت عنوان "**البديع ماهيته وفنونه**"، وقسمناه إلى مبحثين ولكل منهما مطلبين، تناولنا فيهما، تعريف البديع، والوقوف على أثره في لغة العرب، إضافة إلى فنونه.

أما الفصل الثاني، وهو المحور الأساسي في بحثنا، فجاء بعنوان "**أثر البديع في الربع الأخير من القرآن الكريم**"، كذلك هو الآخر أتى في مبحثين ينطوي تحته مطلبين، تطرقنا فيهما إلى أثر البديع في القرآن الكريم، لنضع بين أيدينا بعد ذلك "**الربع الأخير من القرآن الكريـــم**" كنموذج نقف من خلاله على ما تطرقنا إليه من تعاريف لفنون البديع وما مدى أثرها في القرآن الكريم من خلال سور الربع الأخير من القرآن الكريم. وفي الأخير ختمنا بحثنا هذا بخاتمة جاءت في شكل إجمال وخلاصة لما استطعنا الإجابة عليه من تساؤلات.

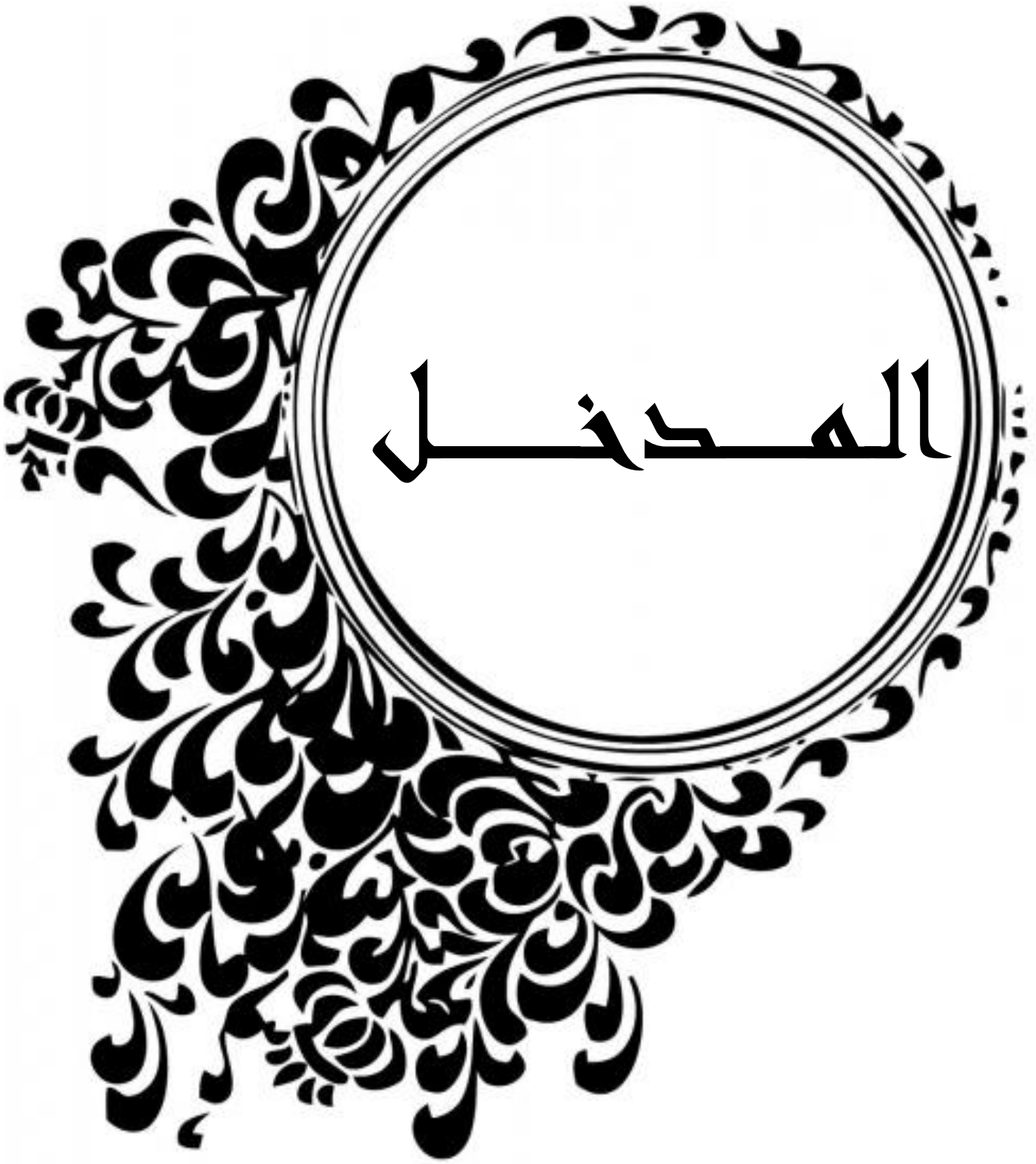
المـــدخـــل

إنّ علم البلاغة من الفنون الأدبية التي نبه عليها أدباء العرب وحاولوا تتبعها لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام[1]، فالبلاغة غصن باسق من شجرة علوم العربية، وقد لقي هذا العلم من اهتمام السلف وجهودهم ما جعله علماً قائماً بذاتـه ويشير واقع العرب في أوائل عصر نزول القرآن الكريم إلى أنّ السليقة التي نشؤوا عليها في التذوق الفطري الأصيل وفرت عليهم تحليل مقومات روعة الكتاب العزيز، ثم إنّهم لم تكن لديهم الوسائل الكافيـة لبلوغ هذا التحليل، على نحوها تيسر للأجيال الأخيرة[2].

ومع مرور الزمن برزت عوامل جديدة أدت إلى إضعاف أثر السليقة في التعامل مع النصوص الأدبيـة.

فقد اختلط العرب الفصحاء بغيرهم، ووصلت دعوة الإسلام إلى أجناس آخرين كما أثيرت شكوك ومطاعن في بلاغة القرآن وإعجازه ممّا جعل الكثيرون لا يكتفون بـهذا التفوق الذي تحسه نفوسهم إزاء الإعجاز القرآنـي، فمضوا يحاولون استنباط ما يستطيعون استنباطه من وجوه البلاغة فيه، وأصبحت دراستهم تقوم على الدليل العقلي والحجة وتسويغ مواطن الـجمال التعبيري.

[1] ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ج1، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ص 01.

[2] ينظر: حمادي صمو، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره في القرن السادس، المطبعة الرسمية لمنشورات الجامعة التونسية، 1981م، ص 35.

ولعل أبرز ما خاضوا فيه من مواطن الجمال التعبيري، هو تلك الفصاحة والبلاغة في القرآن الكريم، ليكون مرجعا يستشهدون به ويعودون إليه في جل دراساتهم اللغويـة.

فالبلاغة فن مهم لمعرفة أسلوب الأديب فهو الذي يحسن استخدام آلـة البلاغة ليسمو بأسلوبـه ويرقى بتعبيره، فهي علم يقدم جملـة من القواعد، وعلى الأديب مراعاتها عند الكتابة وهو يستخدمها يوعي منه أحيانا ومن غير وعي غالبا، وذلك بعد أن يكون هضمها وأساس قيادها[1].

فخدمة للقرآن كتاب الله المجيد وحرصا على إبراز بعض جوانب إعجازه البياني، اجتهد علماء المسلمين بحثا وتنقيبا واستخراجا حتى وضعوا علوم البلاغة الثلاثـة (المعاني، البيان، البديع) ممّا اجتهدوا ونقبوا فيها، لأنّ كثيرا من عناصر الجمال تدرك بالحس الجمالي ولا يستطيع تحديدها والتعبير عنها ولاكتشاف عناصـرها[2].

وقد بدئ التأليف بعلم البلاغة أساسا لفهم إعجاز القرآن وبلاغته، وسُبل استخدامه للمعاني والبيان والبديع، حيث ارتبطت البلاغة بالقرآن الكريم حتى غدت

[1] ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 2004م، ص 07.

[2] ينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص 05.

جزءا مهما لا يحوز التخلي عنه لمعرفة مضامين القرآن، وهذا ما جعل معظم شواهدهم منبثقة عن محكم آياته[1].

فعلم البلاغة ليست قواعد جامدة كالجثة الهامدة، لا حسّ فيها ولا حركة ولا روح ولا حياة، وليست كما يظنها بعضنا عبارات مصنوعة جامدة وضعت في قوالب ثابتة لا يجوز مخالفتها، فإنّنا نفهم أنّ البلاغة تكمن في تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر جذاب، مع تناسب كل كلام للموقف الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون.

فالبلاغة بفنونها الثلاثة (البيان–البديع– المعاني) وسائر الفنون الأدبية التي نبه عليها العلماء، ليست إلاّ بحوثا وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام[2].

والغرض من عرض فنون البلاغة وعلومها، وللمذاهب الأدبية المختلفة وللأمثلة الأدبية الراقية المقرونة بالتحليل الأدبي والبلاغي، تعطيه القدرة على الإحساس بعناصر الجمال الأدبي الرفيع.

فميدان البلاغة الذي تعمل فيه علومها الثلاثة متضافرة هو نظم الكلام وتأليفه على نحو يخلع عليه نعوت الجمال.

[1] ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص08.

[2] ينظر: أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، دار التوفيقة للتراث، القاهرة، ص 65.

فعلم البلاغة يكشف للمتعلم عن العناصر البلاغية التي ترقى بالتعبير صعودا نحو الكمال الفني، كما تضع بين يديه الأدوات التي يستطيع بالتمرس بها والتدرب عليها أن يأتي بالكلام البليغ، وهي في الوقت ذاته جزء مكمل لثقافة الناقد والأديب.

فدراسة البلاغة إذن ليست ضرورية فقط لمن يريد أن يجعل اللغة وأدبها ميدان تخصصه، وإنما هي ضرورية له وللناقد وللأديب على حد سواء[1].

قال **عبد الحميد بن يحي**[2]: " البلاغة تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام ".

وقال **ابن المعتز**: " البلاغة البلوغ إلى المعنى ويطل سفرُ الكلام "[3].

ومن هذا فقد صنف المتأخرون البلاغة في ثلاثة علوم: المعاني والبيان والبديع، وجعلوا علم البديع مختصا بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة، وبهذا أنزلوه منزلة دانية بعد علمي المعاني والبيان، ووضعوه في ذيل البلاغة وحكموا على مباحثه بأنها محسنات عرضية لا ذاتية، وحلي التزيين والتجميل، لا دخل لها في بلاغة الأسلوب، ولا تتوقف عليها مطابقة لمقتضيات الأحوال.

وقد صادف هذا الحكم رواجا لدى أصحاب الشروح والحواشي وشايعهم بعض الدارسين والباحثين، وتمخض ذلك عن انصراف الهمم عن تحصيل مباحث هذا العلم

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة الحديثة، بيروت، لبنان، ص 05.

[2] عبد الحميد الكاتب: رئيس ديوان الإنشاء لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وقتل معه في مصر.

[3] ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 40.

وتوقف الأذهان عن بحث أسراره، وسير أغواره، فخلت معظم الكتب البلاغية الحديثة من مباحثه.

وفي هذا نمط لمكانة هذا العلم وحط لقدره وشأنه، وهو الذي احتل المنزلة العالية لدى السابقين، وكثيرا ما أطلقوا أسمه على الفنون البلاغية كلها، بل إنّ الدراسات المنهجية في البلاغة العربية بدأت بدارسة فنون البديع وألوانـه على يد ابن المعتز في كتابه (البديـع).

فإنّ علم البديع بصفته فناً من فنون البلاغة فهو أسلوب يهدف إلى إبراز المعنى بأحلى صورة وأوضحها، يحوطها جمال التعبير واتساقه، فالبديع يؤثر في النفوس، وهو ركن مهم في العبارة ولا يستغنى عنه، ولولا ذلك ما حفل القران الكريم المعجز بلغته وبيانه ولا الحديث الشريف، ولم يزدهر به كلام العرب البديع[1].

كما نقرر أيضا، أنّ البديع هو البلاغة في أسمى درجاتها، فالأسلوب المتميز المبتدع هو الذي يؤدي إلى البلاغة، وهو الذي يعطي البديع، وبالتالي تكون الفنون البلاغية كلها فنوناً لتحقيق درجة الإبداع، فالتشبيه والمجاز والكناية والطباق والفصل والوصل والقصر وغيرها من فنون، إنّما هي أوعية يحاول الفنان أن يصب فيها ابتكاره وإيداعه ونبوغه، وقد ينجح وقد لا فليس هناك فنون بديعية، إنّما هناك فنون تحاول أن

[1] ينظر: منير سلطان، البديع تأصيل وتحديد، منشأة المشارف بالإسكندرية، مكتبة لسان العرب، 1986م، ص 20.

تحقق البلاغة في أبدع صورها وهذه الفنون من خلالها يتحقق لنا الإبداع والابتكار والتميز والفن الجميل.

وقد نظر الجاحظ إلى كثرة الصور البديع وفنونه في هذا العصر فجعله مقصورا على العرب إذ يقول: والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت كل لسان "[1] وهو لا يعني أنّ اللغات الأخرى تخلو من البديع وإنما أراد أن البديع قد كثر في عصره في اللغة العربية كثرة جعلت ما عداه مما يوحد في اللغات الأخرى لا يجد شيئا[2].

كما نظر البعض إلى تلك الكثرة فعدوا البديع وليد هذا العصر، مما جعل ابن المعتز يتصدى لهؤلاء مؤلف كتابه (البديع) مثبتا بالشواهد والبراهين أن البديع قديم وموجود في القرآن الكريم والحديث وفي الشعر الجاهلي والإسلامي وليس وليد هذا العصر كما يزعمون[3].

كما كان ابن المعتز محبا للعلماء والأدباء مخالطا لهم معدوداً في جملتهم، وله بضعة عشر مؤلفا في فنون شتى، وصل إلينا منه: ديوانه وطبقات الشعراء وكتاب البديع.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، 4-55.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، 1988، ص 56.

[3] عبد الفتاح بسيوني، علم البديع دراسة تاريخية وفنية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، دار المعالم الثقافية، ط2، 1998، ص 16.

ويعد كتاب البديع أول كتاب يقوم بدارسة مسائل البلاغة وفنون علم البديع بدارسة منهجية دقيقة، فقد كانت تلك الفنون مبعثرة في كتب السابقين فقام ابن المعتز يجمعها ذاكرا أنه لم يسبقه إلى هذا الجمع أحداً[1].

ولكن بقي أن نعلم أنّ ابن المعتز لم يكن راضيا عن الإكثار من البديع والإسراف في استخدام صوره، فقد عارض في شدة هؤلاء الذين أسرفوا في التجديد واستخدام البديع وذكر منهم أبا تمام وصالح بن عبد القدوس، حيث أسرف الأول في استخدام البديع وأسرف الثاني في بناء شعره جميعه على الحكم والأمثال.

فلقد عنى البلاغيون والنقاد باستخلاص فنون البديع، وإضافة الجديد إلى فنونه وقد يكون من بينها المتكلف الذي لا يؤدي رسالته في رقى الأسلوب، وجمال العبارة كما اشتغلوا بتجويد التعاريف وذكر الأقسام، وتحكيم العقل في عدها وتكلفوا في الأمثلة، فما لم يجدوا له مثالا عمدوا إلى وضع مثال صناعي له، لا يتبع من عاطفة ولا يصدر عن إحساس.

وقد شغلتهم التعاريف والأقسام عن الوقوف أمام المحسن البديعي يبينون أسرار جماله، ويظهرون للدارسين هذه الأسرار، مما جعل دراسة البديع جافة لا تؤثر في

[1] ابن المعتز، البديع، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، 1982، ص 57.

النفس، ولا تستولي على الوجدان، مع أنها ألوان قصدها الشعراء ليملكوا بها القلوب ويؤثروا بها في عواطف النفس[1].

وهو البديع بعصور كانت ألوانـه هدفا للشعراء، يسرفون استخدامها ويقصدون إليه عمداً، طناً منهم أنهم يحسنون صنعاً، ويستكثرون من ألوان الجمال، وفاتهم أنهم بذلك يُغَشُون المعنى بالظلمة، ويسترونه بالعماية، كما شغلهم تطلب البديع عن النظّر في قيمة المعنى، ولذلك زهد الناس في البديع وأثروا البعد عنه.

لذلك يجب أن تدرس فنون البديع واقفين عند ألوانه الجيدة، تبين سر جماله ضاربين صفحا عن كل مثال صنع منها ليصدر لونا من ألوانه، وكانت عناية البلاغيين بألوان البديع في القرآن الكريم، فقد وجهت همتهم إلى استخراجه من الكتاب العزيز، وبيان سر أصالته في الجملة وملائمته للأسلوب، ومزيته في المعنى.

فليس وجوده في القرآن حلية مزينة، ولا عرضا يستغنى عنه، ولا تابعا ذليلا لما هو أصل له، بل رآه البلاغيون أصلا برأسه يختل المعنى بزواله ويتأثر الأسلوب باختلاله.

فليست ألوان البديع تأتي لمناسبة لفظية مرغوبة، ولا لحلية حسية مطلوبة، وإنما تنطوي ألوانـه على مقاصد معنوية، وجمال داخلي، تظهر للباحث البلاغي[2].

[1] البديع في ضوء أساليب القرآن، ص 3-4.

[2] ينظر: أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، ص 167.

فخلاصـة القول فإنّ البديع يعرف بأنه ذلك العلم الذي تعرف به المحسنات الجمالية اللفظية، التي لم تلحق بعلم المعاني، ولا يعلم البيان، أو هو ما يعرف بالمحسنات البديعية أو اللفظية.

فإنّ مهمة البديع تكمن في مساعدته في تحسين الكلام تحسينا لفظيا ظاهرا.

الفصل الأول

البديع ماهيته وفنونه

المبحـــث الأول: تعــريف علـم الـبديـــع

إنّ البديع من زينة القول وزخرفه، لأنّ علم المعاني في أحوال اللفظ والإسناد ومطابقة مقتضى الحال، وعلم البيان أسلوب من أساليب الإيضاح التي تجلي المعنى وتوضح منزلته، فالمعاني كأصول الشجرة وأغصانها والبيان بمنزلـة أوراقـها، وعلم البديع بمنزلـة زهرها، وهو كالنقش في البيت والزينة في اللباس، لأنه من التحسين[1].

1_ لـــغـة:

مما أورده ابن منظور في لسان العرب حول معنى كلمة البديع، بدع الشيء يبدعـه بدعـا ابتدعه، أي أنشـأه وبدأه[2]، وفي التنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ (سورة الأحقاف، الآيـة 09) أي ما كنت من أوّل من أرسل بمعنى قد أرسل قبلي رسل كثير والبديع المحدث العجيب، وفلان بدَع في هذا الأمر أي أوّل لم يسبقه أحد فيه، والبديع من أسماء الله عز وجل لا يدعه الأشياء وأحداثه إيّاها، كما قال عز وجل: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ (سورة البقرة – الآيـة 117) أي خالقهما ومبدعهما، وهو سبحانه الخالق المبدع مثال سابق يقول حسّان بن ثابت رضي الله عنه: سجيه تلك فيهم غير محدثـة: " إنّ الخلائق فاعلم شرها البدع وجاء لفظ " بديع

[1] عبد العزيز بن علي الحزبي، البلاغة الميسرة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص 91.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثامن، دار صادر، بيروت، 1999م، ص 06.

" في الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم: " إنّ تهامة كبديع العسل حلو أولـه حلو آخره"[1].

فبذلك نرى أنّ كلمة " البديع" بدور معناها اللغوي حول التجديد والمحدث والمقترع، أي لم يكن له مثال فيما سبق.

2_ اصـطـــلاحـا:

أطلق البلاغيون ومجموعة بين العلماء كلمة **(بديـع)** على فنون البلاغة ومسائلها، كما أطلقوا على تلك الفنون والمسائل كلمات البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وظلت كلمة البديع تعد مرادفة لتلك المعاني، مرداداً بها مسائل البلاغة وفنونها[2].

ويعرف الخطيب القزويني (البديع) بقولـه: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه مقتضى الحال ووضوح الدلالـة "[3].

أمّا ابن خلدون ففي تعريفه لمصطلح البديع يقول: "البديع هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنسيق، إمّا بسجع يشابه بين ألفاظه، أو بترصيع يقطع

[1] الشحات محمد ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، ط1، 1994م، جامعة الأزهر، ص 09.

[2] بسيوني عبد الفتاح، علم البديع دراسة تاريخية وفنية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، دار المعالم الثقافية، ط2، 1998م، ص 08.

[3] أحمد حسن المراغي، علم البديع في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص 09.

أفرانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفي منه، لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك "[1].

من خلال هذا القول يبين لنا أن ابن خلدون ربط بين حسن القول والبديع وذكر بعضا من فنونه كالجناس والسجع والتورية، وأراد بذلك أن يشير إلى أنّ تزيين الكلام وتحسينه، فن له أصناف وأقسام متنوعة توظف في سبيل ذلك.

وعرفه أحمد الهاشمي في قولـه: "هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وتكون رونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد"[2]. فنرى حسب قوله بأنّ البديع علم قائم بذاته، وأنّ له دور في تزيين الكلام مع وضوح المعنى.

أمّا الجاحظ فإنه يقصر البديع على العرب ويجعله سبب تفوق لغتهم على سائر اللغات بقولـه: "والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان "[3].

وهذا لا يعني أنّ اللغات الأخرى تخلو من البديع، وإنّما أراد أن يوضح بأنّ البديع قد كثر في عصره في اللغة العربية، كثرة جعلت اللغات الأخرى تفقد بصمتها.

[1] ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م، د ط، ص 174.

[2] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص 298.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام هارون، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص 55.

وقد أطلق الجرجاني على ألوان البديع اسم الحلي، يقول الجرجاني: "وقد يمتنع بعض الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعا، لأنّ أحد أبواب الصنعة ومعدود في حلي الشعر"[1]. ومن هذا القول إشارة إلى أنّ البديع له أصناف متعددة قد يختلف البعض في تصنيفها في إطار البديع، وهذا ما ذكر البلاغيون منذ نزول القرآن الكريم.

واتسع مفهوم البديع عند أبي هلال العسكري (ت 395 هـ) فخصص له بابا مستقلا في خمسة وثلاثين فصلا في كتابه (الصناعتين)، رصد فيه فنونا بلاغية عديدة إذ فهم البديع بمعناه اللغوي.

أمّا السكاكي (ت 627 هـ) وإنّ فصل بين علمي المعاني والبيان وأطلق عليهما هذين الاسمين، لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العلمين، بل إنها تشارك مسائلهما في تزيين الكلام بأبهى الحلل، والوصول به إلى أعلى درجات التحسين[2].

إنّ العباسيين الذين عاصروا مولد البديع كانوا يردونه إلى مصادر عربية خالصة، كما في قول الجاحظ السابق: "والبديع مقصور على العرب...إلخ " وكما يدل عليه ابن المعتز في مقدمة كتابه (البديع).

[1] عبد العزيز عتيق، علم البديع في البلاغة العربية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ص 10.

[2] ينظر: عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القران، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 12.

ففي هذا العصر انتشرت الصور البديعية الطريفة في الأساليب وعلى ألسنة الشعراء، فأتى ابن المعتز (ت 296 هـ) وجمعها في كتابه (البديع) وذكر أنّ هذه التسمية من وضع الرواة والشعراء المولدين، فقال في مقدمة كتابه: "وقد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن، واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة، والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المتحدثون "البديع" ليعلم أنّ بشاراً ومسلما، وأبا نواس، ومن تقيلهم، وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم"[1].

وعلى الرغم من كل هذه التعريفات فقد ظلت كلمة (البديع) كلمة عامة تتسع لكل أنواع علوم البلاغة بحسب وضعها الأخير (المعاني، البيان، البديع) عند علماء البلاغة كابن سنان (ت 466 هـ) وعبد القاهر (ت 481 هـ) فقد أطلق (البديع) على التشبيه والتمثيل والاستعارة والتطبيق، وهكذا لا تزال كلمة (البديع) تطلق إطلاقا على هذه الأنواع المشتركة من علوم البلاغة في وضعها الأخير[2].

[1] المرجع السابق، ص 09.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

فعلم البديع دراسة لا تتعدى تزيين اللفظ أو المعنى، فهو يبحث عن تحسينه وتدبيجه وإلباسه ثوبا من البهجة والبهاء، وفي هذا الصدد يقول الناظم رحمه الله الشيخ عبد الرحمن الأخضري:

علم به وجوه تحسين الكـــلام تـــعرف بعد رعي سابق المرام

ثـــم وجـــوه حسنه ضربـــان بحـــسب الألـــفاظ والمعانـي

فقد قسم علماء البلاغة المحسنات البديعية إلى قسمين أساسيين: أحدهما يتعلق بالمعنى والآخر بتعلق باللفظ، وسمي الأول المحسنات المعنوية وسمي الثاني المحسنات اللفظية[1].

فكل قسم منها يحتوي على عدد الفنون ذكرها عدد من فقهاء البلاغة وقسموها حسب وظيفتها في الكلام، فوضعوا التي تعنى باللفظ في خانة المحسنات اللفظية والتي تقيد المعنى في خانة المحسنات المعنوية.

فعلم البديع علم فيه صفات وميزات تميزه عن علمي البيان والمعاني ومن بين هذه المميزات أهمها:

_ ملائمة البديع للمعنى، وانسجامه والتحاقه به.

_ صدوره عن الطبع وانبثاقه من السليقة وإلاّ كان البديع تصنعا وتكلفا.

[1] أحمد حسن المراغي، علم البديع في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص 67.

كما أنّ للبديع أهمية في القرآن الكريم للكشف عن دلالاتها البلاغية ومعانيها البيانية، فالدلالات البلاغية في القرآن كثيرة ولا يمكن فهم هذه الدلالات إلاّ بإتقان فنون البلاغة العربية وخاصة فن البديع، لأنّ الدلالات البديعية هي التي تكشف مفهوم الخطاب القرآنـي.

وقد أخذ علم البديع هذا الاسم لأنّ الأدباء يتنافسون في ابتداع الصور البديعية والمحسنات اللفظية والزخارف ويظل هذا العمل مقبولا ومشرقا ما دام في خدمة المعنى صادرا عن الأديب بغير تكلف أو تصنع أو إجهاد أمّا إذا طغى اللفظ على المعنى وأصبح تزيين اللفظ هو الهدف كما حدث في العصور المتأخرة فهو عيب من عيوب الأديب وسيئة من سيئات التعبير.

المبحـــث الثاني: نـــشـأة البديـــع

أشار الجاحظ إلى نشأة البديع وإلى أول من اقترحه فقال: "ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد، والرسائل الفاخرة، مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابي، وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه ومثالته في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من المولدين، كنحو منصور النمري، ومسلم بن الوليد الأنصاري، وأشباههما، وكان العتابي يحذو حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين أَصوب بديعا من بشار وابن هرمة"[1].

وفي قول الجاحظ تبين لنا ما يفيد أن البديع نشأ في الأدب العربي من التفكير المختلط والمجهود المشترك بين العرب والفرس، ولم يكن خالصا من الفرس وحدهم الذين يعرفون بميلهم إلى التعبير باللون، وهذا يدل على أنه مذهب عباسي تعاونت فيه طوائف من الشعراء العرب مع الشعراء الفرس[2].

أمّا ابن المعتز جعل "البديع" خمسة أنواع: الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، المذهب الكلامي، ثم ذكر بعض محاسن الكلام وعد منها ثلاثة عشر نوعا، الالتفات، الاعتراض...إلخ.

[1] الجاحظ، البيان والتبيين،

[2] ينظر: عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء القرآن، ص 08.

كما أثبت ابن المعتز في كتابه (البديع) بقوله: "إن المحدثين ليسوا هم مخترعوا البديع، بل ثبت وجوده في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعراء القديم، وهذا ما يثبت تناول الأولين من العرب لهذا الفن، إلاّ أنهم لم يقفوا على مسمياته، فكان يرد في كلامهم سليقة دون تصنع ولا تكلف "[1].

فحسب ما فهمنا قول ابن المعتز، فإنّ البديع كعلم، لم يأت به المحدثون من عصره، وإنما كان فيما قبل ذلك بكثير عند الأولين من العرب، فقط أنهم لم يوردوا ولم يحددوا تسمية في ذلك الوقت، فقد كان يأتي في أشعارهم وكذلك في الأحاديث النبوية وفي القرآن الكريم.

لقد كان لعلم البديع أهمية بالغة عند البلاغيين، والدليل على ذلك أنّه كثير من الدارسين لا يكاد تخلو مؤلفاتهم من البديع، إمّا بالكلام المستفيض عنه أو بالإشارة إلى بعض جوانبه ولإثبات ذلك من خلال تتبع دلالة لفظ البديع عند أصحاب هذه المؤلفات، وأكبر مثال على ذلك وقد سبق ذكره ألمعتزلي (الجاحظ) (ت 255 هـ) حيث درس البلاغة فألف كتابة (البيان والتبيين)[2] وهو كتاب جامع شامل، فيه ملاحظات العرب البيانية وبعض ملاحظات الأجانب ونراه يطيل الوقوف عندما أثاره بشر بن المعتمر من صفات الألفاظ والمعاني ووجوب مطابقة الكلام.

[1] ابن المعتز، البديع، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، منفحة 1982م، ص 03.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط6، د ت، ص 46.

وكانت هذه الملاحظات التي أوردها الجاحظ، كانت على ما هو سائد في عصره يمزج فيها بين مباحث البلاغة المختلفة بصفة عامة، فهو لم يقصد بالتحديد البديع ذلك العلم الذي صار يعرف بعده، لأنّ في تعرضه لبعض أنواع البديع لم يوضحها توضيحا دقيقا، ولم يحددها، فتعرضه لها كان مقتصرا على تقديم أمثلة فقط لا يوضع قواعد.

أمّا أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) فيقول: " فهذه أنواع البديع هي التي ادّعى من لا رواية له فيها، ولا دراية عنده أنّ المحدثين ابتكروها والقدماء لا يعرفوها وذلك لمّا أراد أن يفحم أمر المحدثين"[1].

ومن الواضح أنّ عصور الأدب ليس بينها حواجز قوية، بل يتداخل بعضها في بعض ولذا فإنّ هؤلاء الشعراء الذين أسرفوا في البديع وأكثروا من صوره وتكلفوا مسائله في العصر العباسي، ولم يكونوا على مستوى واحد ودرجة واحدة من حيث الإكثار والإسراف والتكلف والاصطناع بل هم متفاوتون عن بعضهم البعض ونستطيع أن نقسمهم إلى أربع فئات، وأربع مدارس لكل مدرسة منها طابعها الخاص ورجالها الذين يمثلونها[2].

[1] ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، علي محمد البحاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء الكتب العلمية، عيسى ألبابي الحلبي، ط1، 1952م، ص 267.

[2] ابن المعتز، البديع، ص 01.

1_ المدرسة الأولـــى:

مدرسة بشار بن برد ومن تلامذتها، ابن هُومة العتابي ومنصور النميري وأبو نواس وقد كان لها نهجها الخاص، التقى من خلاله هؤلاء السالفين الذكر على مبادئ معينة في توظيف البديع وفنونه المختلفة في أشعارهم.

فلو عدنا إلى الشاعر أبي نواس، فإننا نجده من حيث الأسلوب في شعره قد سحر الناس لما فيه من حدة التصوير وجمال العبارة، حتى قال فيه نقاد الأدب: إنما نفق شعر أبي نواس على الناس لسهولته وحسن ألفاظه، وهو مع ذلك كثير البديع.

2_ المدرسة الثانيـــة:

يمثلها مسلم بن الوليد، الذي زاد في الإسراف وبالغ في التكلف[1].

3_ المـدرســـة الثالثـة:

يمثلها أبو تمام الذي حلف ألاّ يصلي حتى يحفظ ديوان مسلم بن الوليد، فبلغت الصور البديعية على يديه من التكلف والتعقيد والمزج بألوان الثقافات الواسعة والخوض في بحار الفلسفة والمنطق مبلغا لم تبلغه على يد شاعر غيره.

[1] بسيوني عبد الفتاح، علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م، ص 12.

4_ المـــدرســـــة الرابـعـــة:

فعمادها البحتري وابن المعتز، وقد تحلل البديع على أيديهما من تلك الأعباء الثقال التي أرهقه بها أبو تمام وأخذ يرجع إلى عهد الفطرة السلسة العذبة والطبع القويم.

وما يجب الإشارة إليه أن المقصود هنا بالبلاغة والفصاحة هو حسن توظيف ما سمي بالجيل البديعية في الشعر والنثر على حد سواء، فكان نظرهم إلى البديع على أنه الركن الركين في إيضاح المعنى عن طريق استثارة النفوس من خلال التلاعب بالألفاظ التي تعطي المعنى الدقيق للكلام في أبهى وأحلى صوره.

ولقد استمر هذا اللون الأدبي على هذا النحو حتى جاء العصر الحديث، حيث نجد أحمد البيروني ومحمود صفوت الساعاتي، والشيخ الطاهر الجزائري وغيرهم[1].

من خلال ما تحدثنا عليه في نشأة علم البديع وتطوره، أنّ عبد الله بن المعتز هو أول من قام بمحاولة علمية جادة في سبيل تأسيس علم البديع، وتحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة تعلم المعاني وعلم البيان.

وتمثلت محاولة ابن المعتز في كتابه (البديع) الذي ألفه وضمنه ثمانية عشر فن من فنون البديع أو قد مهدت محاولته السبيل أمام البلاغيين من بعده فتأثروا بها وأفادوا منها في تطوير هذا العلم واستكمال مباحثه وقضاياه.

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 360.

فقدامة بن جعفر وهو من معاصري ابن المعتز أولى البديع اهتمامه وزاد فيه تسعة أنواع جديدة، وأبو هلال العسكري اعتمد ما أتى به ابن المعتز وقدامة من فنون البديع وأضاف إليها حتى بلغت عنده سبعة وثلاثين نوعا، ثم جاء ابن رشيق القيرواني فزاد على من تقدموه تسعة أنواع لم يرد لها ذكر عندهم.

وهكذا أخذت فنون البديع تنمو وتتكاثر على تعاقب الأجيال والعصور حتى بلغت في القرن الثامن الهجري عند الشاعر صفي الدين الحلي مائة وخمسة وأربعين محسنا بديعيا.

وهذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة يخلوها عن التعقيد المعنوي.

والمحسنات البديعية ضربان: معنوي يرجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا، وضرب لفظي يرجع إلى اللفظ أصلا وإن تبع ذلك تحسين المعنى لأن المعنى (إن) عبر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى.

فالغرض من هذا هو التركيز على أهم المحسنات للتعرف عليها وبيان أثرها في تحسين الكلام لفظا ومعنى[1].

[1] عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 75-76.

* تيفاش: مدينة فهي إحدى قرى قفصة بإفريقية.

فابن المعتز هو أوّل من دوّن هذا الفن وهذا ما ذكرناه سابقا، إلاّ أننا ارتأينا أن نذكر ما جاء به البلاغيون من بعده، حيث أضافوا أنواعا كثيرة في المحسنات البديعية فمنهم:

جعفر بن قدامة: " أديب بغداد (ت 319 هـ) ألف كتاب (**نقد قدامة**) ذكر فيه أكثر من عشرة أنواع من أنواع البديع، إضافة إلى ما سبق أن اكتشفه من قبل عبد الله بن المعتز العباسي.

ثم أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 392 هـ) فقد جمع سبعة وثلاثين نوعا من أنواع البديع.

أمّا ابن رشيق الحسن بن رشيق القيراوني فجمع في كتابه (العمدة) قرابة سبعة وثلاثين نوعا من أنواع البديع.

ثم شرف الدين أحمد بن يوسف القيسي التيفاشي، من أهل تيفاش* (ت 651 هـ) ثّم عبد العظيم المشهور بابن المصنع العدواني، ألف كتابه (بديع القران) في أنواع البديع الواردة في القرآن وقد أوصل الأنواع إلى تسعين نوعا، (ت 654 هـ) ثم صفي الدين بن عبد العزيز بن سرايا الشنبسي الطائي الحلي* (ت 850 هـ) فأوصل الأنواع إلى مائة وأربعين نوعا[1]، يمكن جمع بعضها في بعض ثم عز الدين علي بن الحسين

* قدامة كاتب برع في علم المنطق، له نقد الشعر، ونقد النثر.

* صفي الدين الحلي: شاعر له ولع بالبديع، له ديوان: درر النحو.

[1] أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، ص 168.

الموصلي، شاعر وأديب من أهل الموصل، سكن دمشق وتوفي فيها (ت 750 هـ) له مؤلف سّماه بديعية وشرحه فذكر في كتابه ما ذكر صفي الدين الحلّي، وزاد زيادة يسيرة من ابتكاره.

المبحث الثالث: الـفـــنون الـبـديـعـيـة

الفنون البديعية كثيرة كما رأينا، لذلك سنقتصر في هذا المبحث على أشهرها وأكثرها تداولا [1]:

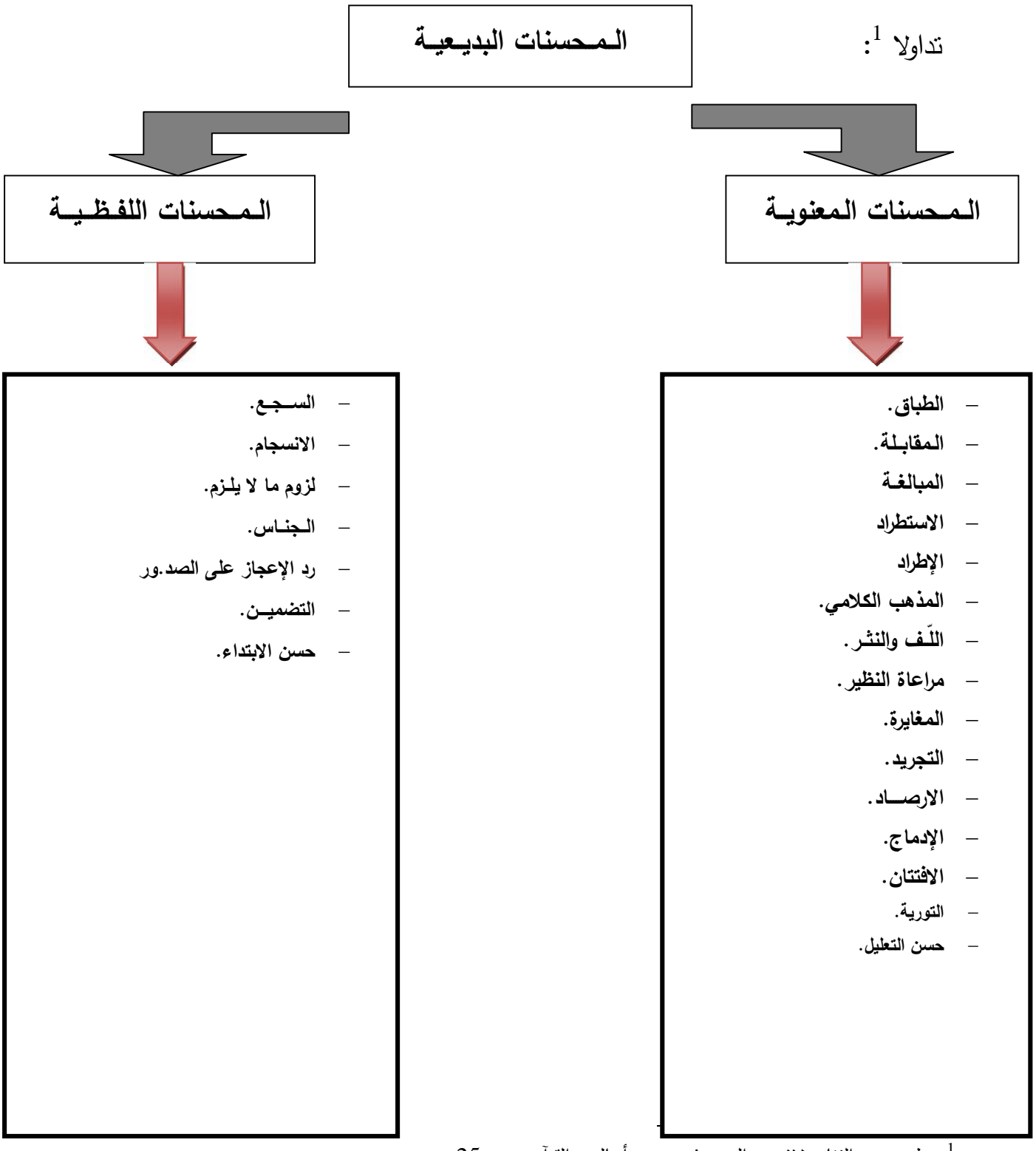

[1] ينظر: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ص 25.

المطلب الأول: الـمحسـنات المعنويـــة

1_ المطابـقـة أو الطبـاق:

المطابقة في اللغة الموافقة، أمّا اصطلاحا فهي توافق بين المتقابلين، سواء أكان هذا التقابل حقيقيا أم اعتباريا، والطباق: هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام مثل قول الشاعر:

وَلا يُنكِرونَ القَولَ حينَ نَقولُ وَنُنكِرُ إِن شِئنا عَلى الناسِ قَولَهُم

وتكون كذلك بفعلين كما في قوله تعالى:﴿ **تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾.(سورة آل عمران – الآية 26)[1].

المطابقة بين اللام للملك المؤذن بالانتفاع، وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحميل والتضرر كقول مجنون ليلي:

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا عليّ ولا ليَ

فالشاهد في (على) الثانية مع اللام في قوله (ليا) وعلى الأولى بمعنى مع والمعنى أنه يحمل ما يوحي مدحه ولكنه يرضي بأن يخلص منه وليس عليه ذم ولا على مدح.

[1] ينظر: أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، ص 27.

وأمّا بلفظين من نوعين مختلفين، كقوله تعالى:﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ (سورة الأنعام – الآية 122).

والطباق قد يكون ظاهرا كما ذكرنا، وقد يكون خفيا كقوله تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾(سورة نوح، الآية 25)، حيث طابق بين أغرقوا وأدخلوا نارا فإدخال النار يستلزم الأحرف المضاد للإغراق[1].

والطباق على ثلاثة أنواع وهي:

أ_ طباق الإيجاب:

صور المطابقة إذا كان المتقابلان فيها موجبين مثل كقوله تعالى:﴿ **وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى** ﴾. (سورة الأعلى الآية 13)، يسمى هذا طباق الإيجاب.

ب_ طباق السلـــب:

وهو ما كان فيه أحد طرفي المقابلة مثبتا والآخر منفيا نحو قوله تعالى:﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ (سورة الزمر الآية 9)، وقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ (سورة المائدة، الآية 44).

[1] أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، ص 31.

ج_ إيـهـــام التضـاد:

وهو أن نتوهم التضاد بين لفظين وهما ليسا متضادين، أو بعبارة أخرى تعبر عن معنيين غير متضادين بلفظين متضادين، كقول دعيل بن علي الخزاعي:

لا تَعجَبي يا سَلمُ مِنْ رَجُلٍ ضحكَ المشيبُ برأسهِ فبكى

فإنّ (ضحك) هنا من حيث المعنى، ليست ضد الكلمة (بكى) لأنّ ضحك المشيب يقصد به ظهور الشيب بوضوح، فهو كناية عن كثرة الشيب، لكن من حيث اللفظ يوهم بالمطابقة، ومثله ما يلحق الطباق.

ويرد في العربية من ذلك الكثير، فإيهام التضاد من المحسنات البديعية التي اعتبرها بعض علماء البلاغة، أنها تدخل في أسلوب التلاعب بالألفاظ في النصوص الأدبية ونجده كذلك في النصوص القرآنية مثلما جاء فيقوله تعالى: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ (سورة الفتح، الآية 29).

2_ المقابلـــة:

وقد جعلها القزويني من أنواع المطابقة، وهي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، لم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب، فمثال مقابلة معنيين بمعنيين قوله تعالى:﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ فقابل الضحك والقلة بالبكاء والكثرة، مع الترتيب[1].

[1] محمود أحمد حسن المراغي، علم البديع في البلاغة العربية، ص 71.

ومثال مقابلة ثلاثة معاني بثلاثة، قول المتنبي:

فلا الجود يغني المال والجد مقبل ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

فالمقابلة في البيت الشعري بين (الجود، يغني، مقبل) وبين (البخل، يبقي، مدبر) وكل من المطابقة والمقابلة، من المحسنات البديعية التي تعطي الكلام نوعا من القوة والتأثير في النفس، ويشترط في نجاح المقابلة والمطابقة أن تكون كل منهما مطبوعة غير متكلفة ولا متصنعة حتى لا تفسد المعنى وينفر منها الذوق السليم.

فالمقابلة إذن هي أن تؤتي بمعنيين غير متقابلين أو أكثر لم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب. ويقول بعض علماء البديع: كلما كثرت المتقابلات كان الكلام أبلغ وما أظن الذوق السليم يرى أنّ التفاضل بالكثرة، ولذلك نجدها في القرآن الكريم ليس فيها خمسة بخمسة، ولا ستة بستة، ولا نجد شيئا منها في الحديث الشريف ولا فيها أثر عن الفحول من الكتاب والشعراء[1].

3_ مراعاة النظير:

وهي **لغة:** التناسب أو الائتلاف أو التوفيق.

وأما **اصطلاحا:** وهو أن يجمع بين اثنين في الكلام، جمع تناسب لا جمع تضاد كقوله تعالى:﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (سورة الرحمن، الآية 5).

[1] عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ص 36.

فجمع في الآية بين (الشمس والقمر) وهما متناسبان لتقاربهما في الخيال وكونهما كوكبين سماويين.

وقول ابن رشيق مدح في الأمير تمام أمير صنهاجة بإفريقية:

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى مِــنَ الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا عَنِ الْبَحْرِ عَنْ جُودِ الأَمِيرِ تَمِيمِ[1]

فقد ناسب فيه بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ثم بين السيل والحياء، والبحر، وكف تميم، مع مل في البيت الثاني من صحة الترتيب، ثم في العنعنة، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر، كما يقع في سند الحديث فإنّ السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر وجعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغة.

ومراعاة النظير ثلاثة أنواع: تشابه الأطراف، وإيهام التناسب، إضافة إلى التفويق.

أ_ تشابــه الأطــراف:

هو أن يختتم الكلام بما يناسب أوّله في المعنى وذلك كقوله تعالى: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾. (سورة الأنعام، الآية 103).

[1] الحياء المطر، الأمير تميم: هو ابن المعز بن باديس.

ب_ إيـــهام الـتـناسب:

وهو أن نجمع بين لفظين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصودين، ولذلك يلحق بمراعاة النظير. والتناسب هو ذكر الشيء مع ما يناسبه كالشمس والقمر، والسحاب والمطر، ومن ذلك قولـه تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ (سورة الرحمن، الآيـة 6).

فقوله تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ أي بحساب معلوم وتقدير دقيق محكم وقوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾، هو أنّ النجم هنا ليس نجم السماء بل النبات الذي ينجم من الأرض ولا تساق له كالبقول والشجر الذي لا ساق له ويسجدان أي ينقادان لما خلقنا له، وإن لم يكن مناسبا للشمس والقمر فقد يكون بمعنى الكواكب، وهو مناسب لهما ولهذا سمي بإيهام التناسب.

ج _ الـتـفويـــق:

وهو أن يؤتي في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير، ويكون التفويق حتما، إذا كان خاليا من الركاكة التي تؤدي إلى نقل النطق. ومنه قول ابن زيدون:

به احتمل واحتكم اصبر وعزّ أَهن ودلّ أخضع وقل اسمع ومر أطع

البيت في الغزل وهو يقول لمحبوبته، سأحتمل تيهك واصبر على تحكمك وأهون أمام اعتزازك بنفسك وأخضع لدّلالك، وأسمع قولك وأطيع أمرك[1].

وقد انتشر هذا النوع من المحسنات البديعية على وجه الخصوص في العهد الأموي ويكون التفويق: إمّا بالجمل المتوسطة كما في بيت ابن زيدون. وأما بالجمل الطويلة وهو قليل، وأمّا بالجمل القصيرة وهو الأكثر ولا يخلو من تعسف ومن قول دبك الجّن الشاعر (ت 235هـ):

أحل أمرر وضر انفع ولن واحشن ورش وابر وانتدب للمعالي

ويقول:

كن حلوا ومرا وضرني وانفعني وكن لينا وخشنا ورش وأبر

كناية عن القوة إذا راش السهم ويراه أي استعد للقتال، وانتدبي للمعالي[2].

4_ الاستطراد:

وهو ذكر الشيء في غير محله المناسب، أو بعبارة أخرى هو الانتقال من معنى إلى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني, ومثال ذلك قول السموأل بن عاد اليهودي[3]:

وإذا أناس لا نرى الموت سبة	**إذا ما رأته عامر وسلولً**

[1] الحديث في البلاغة والعروض، ص 74.

[2] المرجع السابق، ص 74.

[3] أحمد حسن المراغي، علم البديع في البلاغة العربية، ص 46.

يُقَرِّبُ حُبُّ المَوتِ آجالَنا لَنا	وتكرهه آجالهم فتطول
وَما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ حَتفَ أَنفِه	وَلا طل منا حيث كان قتيلِ

فسياق القصيدة للفخر، وذكر لمآثر المجد، واستطرد منه الشاعر إلى هجاء عامر وسلول، ثم عاد لغرضه الأصلي وكذلك في قول الشاعر زياد الأعجم:

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به يأس وإن كان من جرم

5_ الاطـــراد:

وهو غير الاستطراد وقد عرفه صاحب الطراز بقوله: "...فإنه ذكر اسم الممدوح بعينه ليزداد إبانة وتوضيحا على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف في النظم، ولا تعسف في السبك حتى يكون ذكر الاسم في سهولته كاطراد الماء وسهولة جريانه وسيلانه[1]، وذلك كقول الأعشى:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤ يرجو شبابك وائل

6_ التوريـــــة:

في اللغة هي الإيهام والتوجيه والتخيير. أما اصطلاحا: فهي أن يذكر لفظا له معنيان، معنى قريب ومعنى بعيد، ويكون المعنى المقصود هو البعيد اعتمادا على قرينة خفية.

[1] الحديث في البلاغة والعروض، ص 74.

وقد قسمها البلاغيين إلى أربعة أنواع هي: مجردة، مرشحة، مبينة ومهيأة ولكننا نكتفي بتقسيم القزويني لها إلى قسمين هما: مجردة ومرشحة.

أ_ المجـــردة:

هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين، كقول الخليل لمّا سأله الجبار عن زوجته فقال: "هذه أختي" أراد بها أخوة الدين، وكقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ (سورة طه، الآية 5)، فالاستواء له معينان أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب، وغير المقصود لأنّ الله تعالى منزه عن ذلك، والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الموزى عنه بالمعنى القريب، ولم يذكر فيها ما يلائم المعنى القريب[1].

ب_ المـــرشحـــة:

هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب وسميت بذلك لتقويتها به لأن القريب غير مراد فكأنه ضعيف فإذا ذكر لازمه تقوى به ومنه قول الشاعر:

حملناهم صرّا على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا[2]

فكلمة (الدهم) لها معنيان، أحدهما المعنى القريب وهو الخيول السود وهو المتبادر إلى الذهن، وهو غير مراد والمعنى البعيد وهو القيود السود، وهو المراد، وقد

[1] عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القران، ص 112.

[2] المعنى: أنهم أسروا أعداءهم وقيدهم بالحديد بعد أن أثخنوهم بالجراح.

رشحت التورية بما يلائم المعنى القريب، إذ أتى الشاعر بكلمة (حملناهم) والحمل مناسب للدهم للخيول وهو المعنى القريب ومثال قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (سورة الذاريات، الآية 47).

7_المبـــالـغـة:

هي في الـــلـــغـــة: الاجتهاد في الشيء إلى حد الاستقصاء والوصول به إلى غايته وتأتي بمعنى المقالات، وهي الزيادة بالشيء عن حده الذي هو له في الحقيقة، يقال لغة: بالغ في الأمر مبالغة وبلاغا، إذا اجتهد فيه واستقصى، وإذا غالى فيه أيضا. وفي **الاصطلاح:** هو أن يدعي المتكلم لوصفه بلوغه في الشدة أو الضعف مدا مستبعدا أو مستحيلا لقوله تعالى:﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ (سورة الحج، الآية 2).

في الآية الكريمة يصف الله تعالى يوم القيامة بأن هوله إذا فاجأ المرضعة وقد ألقمت ثديها للصبي نزعته، لما يلحقها من الدهشة والفزع، ولو قال تعالى: ﴿ **تذهل كل امرأة عن ولدها**﴾ لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة، وإنما أراد أن يزيد في الفزع ويضاعف في الشدة، فخص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها وأشغف به لقربه منها، ولزومها له لا يفارقها في أية لحظة.

فهذه الأوصاف ليوم القيامة تجعل كل عاقل يفكر في عاقبة الأمر، ويستعد للنجاد من هذا الهول والفزع الأكبر. وقد سمي بعض علماء البلاغة هذا النوع من الوصف " الإفراط في الصفة "[1] وسماه آخرون (المبالغة)[2].

و تنحصر المبالغة في ثلاثة أنواع[3]: التبليغ، الإغراق، الغلو.

أ_ التبليـــــغ:

وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا وعادة، وذلك كقول امرئ القيس يصف فرسه بأنه لا يعرق وإن كثر عدوه:

فَعَادَى عِداءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ دِرَاكاً ولَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ[4]

ادعى الشاعر أن فرسه أدرك ثورا وبقرة في مضمار واحد، ولم يعرف وهذا مما يمكن عقلا وعادة. والتبليغ أول درجات المبالغة، وهو عند السكاكي أن يكون الوصف المدعي ممكنا وعادة، نحو قوله تعالى: ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ﴾ (سورة النور الآية 40).

ب_ الإغـــــراق: وهو ما كان الوصف المدعى ممكنا عقلا، لا عادة كقول عمرو بن الأهتم: **وَنُكرِمُ جارَنا ما دامَ فينا وَنُتبِعُهُ الكَرامَةَ حَيثُ مالا**

---

[1] عبد الله ابن المعتز، البديع، ص 116.

[2] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوانب، قسنطينة، ط1، ص 77.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 312.

[4] العداء: يكسر العين، الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما إثر الأخر في شوط واحد الثور المراد به الذكر من بقر الوحش، النعجة الأنثى منه، داراكا: متتابعا.

فالشاعر يفخر بأنّ قومه يكرمون جارهم طول إقامته معهم في جوارهم فهذا الأمر ممكن عقلا لكنه في العادة لا يحدث[1].

ج_ الـــغـــلـــــو:

وهو امتناع إمكان حدوث الوصف المدعى عقلا وعادة وذلك كقول أبي نواس في المدح:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك التطف التي لم تخلف

فالغلو هنا في هذا البيت في أنه أسند الخوف إلى النطق التي لم تخلف بعد وهذا أمر لا يمكن حدوثه في العادة، ولا يمكن للعقل أن يسلم به[2].

8_ المغـايـــــــرة:

هي مدح الشيء بعد ذمه أو عكسه كقول الحريري في مدح الدينار أكرم به أصفر راقت صفرته. بعد ذمـــه في قولـه: تبا له من خادع مارق.

فالمدح هنا جاء بعد الذم (ذم الدينار) فوصفه بالخادع والماكر ليمدحه بعدها في قوله: راقت صُفرتُه.

[1] عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القران، ص 67.

[2] علم البديع، ص 86.

9_ الإرصـــــاد:

وهو أن يذكر قبل الفاصلة من الفقرة أو القافية من البيت ما يدل عليها إذا عرف الروي، نحو قولـه تعالى:﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** ﴾ (سورة ق، الآية 39).

10_ الإدمـــــاج:

وهو أن يضمن كلام سبق لمعنى معنى آخر لم يصرح به كقول المتنبي:

أقلب فيه أجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوب[1]

ساق الشاعر الكلام أصالة لبيان طول الليل وأدمج الشكوى من الدهر في وصف الليل بالطول.

11_ المذهب الكلامي:

وهو مذهب سّماه عمرو الجاحظ بالمذهب الكلامي، وقد قال فيه الجرجاني: "وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"[2].

[1] ابن المعتز، البديع، ص53.

[2] المرجع السابق، ص 53.

فالمذهب الكلامي هو أن يورد المتكلم على صحة دعواه، حجة قاطعة للمخاطب بأن يتكون المقدمات بعد تسليمها، مستلزمة للمطلوب، ومعنى ذلك أن يدفع المتكلم بالحجة والبرهان في مضمون كلامه للإقناع.

وبهذا أعتبر تكلفا لا بل وصفه بعض الكلاميين بالتصنع، ولذلك استبعد الجرجاني أن يكون هذا النوع من المحسنات قد تضمنه القرآن الكريم، إلاّ أنّ هناك من رأى غير ذلك وأتى بحججه من القرآن الكريم ومنه قوله تعالى:﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ (سورة الأنبياء، الآيـة 21).

الله تعالى يستدل على وحدانيته بطريقة أهل الكلام، فيقول: " لو كان فيهما (السموات والأرض) آلهة إلاّ الله لفسدتا، والمراد بالفساد خروجهما عن النظام الذي هما عليه، وتمام الدليل، ولكنهما لم تفسدا، فليس فيهما آلهة إلاّ الله، فاللازم وهو الفساد باطل فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة فانتفى الثاني لانتفاء الأول.

وهذا الأسلوب سماه البلاغيون المذهب الكلامي الذي هو عبارة عن إثبات الدين بالبراهين العقلية، أو هو احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ (سورة الروم، الآيـة 27) أي الإعادة أهون عليه من البدء، فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة. بمعنى: أن كل ما هو أهون على الله، أدخل تحت الإمكان فالإعادة ممكنة:

فريقان كل لـه خطة تدنس في الأرض أو تغسل

نقيضان ما ائتلفا طرفه وجمع النقيضين لا يعقل

فمن القضايا العقلية المنطقية أنّ النقيضين لا يجتمعان في شيء واحد.

12_ حسن التعليل:

وهو أن يدّعي المتكلم علة شيء غير علته الحقيقية على جهة الاستطراف لتحقيقه وتقريره، وذلك لأن الشيء إذا كان معللا كان أكيد في النفس، وأرسخ من إثباته مجردا عن التعليل.

كقول المعرّي في الرثاء:

أما ذكاء فلم تصفر إذ جنحت إلاّ لفرقة ذاك المنظر الحسن

يقصد أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها اصفرت، مخافة أن تفارق الوجه الممدوح[1].

13_ المزاوجــة:

وهي أن يزاوج المتكلم بين معنيين واقعيين في الشرط والجزاء، وذلك بأن يترتب عن كل منهما معنى واحد، كقول البحتري يمدح المتوكل على الله:

إذا احتريت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها[2]

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 306.

[2] احتريت: من الحرب، والمراد إذا تحاربت الفرسان.

فزاوج بين الاحتراب (التحارب) وتذكر القربى في الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما. وقد عد الإمام عبد القاهر (المزاوجة) من النظم الذي يتخذ في الوضع ويدق فيه الصنع[1].

14_ الـــطـــــي والنشـر:

هو أن يذكر متعددا، ثم يذكر ما لكل واحد من أفراده شائعا من غير تعيين اعتمادا على تصرف السامع في تمييز كل واحد منهما ورده إلى ما هو له، وهو نوعان: **الأول:** أن يكون المتعدد مذكورا على جهة التفصيل، وهذا النوع ضربان أولهما: أن يكون النشر على ترتيب اللف، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (سورة القصص الآيـة 73).

فقد ذكر متعدد وهو (الليل والنهار) على جهة التفصيل، حيث عطف النهار على الليل بواو العطف وهذا ما يسمه (طيا)، أو كما نسميه البلاغيون (لفا)، ثم ذكر بعد هذا الطي (النشر)، وهو ﴿ **لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ وذكره كما هو مبين بدون تعيين، إدراكا منه بأنّ السامع يدرك وبالكل ويرده إليه، فهو يدرك أنّ السكن لليل وأن ابتغاء الفضل والرزق يكون نهارا في قول ابن حيوس[2]:

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 70.

[2] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص42.

فِعلُ المُدامِ وَلَونُها وَمذاقُها في مُقلَتَيهِ وَوَجنَتَيهِ وَريقِهِ

فأورد النشر على ترتيب اللف، إذ فِعلُ المُدامِ (الخمر) في مقلتيه، إسكار ولونها في وجنتيه.

ثـانيـــــهما: أن يكون النشر على غير ترتيب اللف، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (سورة آل عمران، الآيـة 148).

فقد جمع أتباع الرسل في دعائهم عند لقاء العدو بين أسباب الفوز في الدنيا والآخرة، وقد ذكر تعالى دعاءهم على سبيل التفصيل، ثم ذكر الإجابة من غير تعيين وقدم ثواب الدنيا مع تأخره في الدعاء لما كان المقام مقام القتال والنفوس متطلعة إلى النصر، وخصص ثواب الآخرة دون ثواب الدنيا بالحسن، للإيذان بفضله ومزيته، وأنّه المعتد به عند الله.

الفرع الثـانـــي: أن يكون المتعدد مذكورا على جهة الإجمال، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (سورة المائدة، الآيـة 33). [1]

[1] بسيوني عبد الفتاح، علم البديع، دراسة تاريخية وفنية، ص 211.

فقد ذكر متعددا على جهة الإجمال في قوله تعالى: ﴿ **يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ فالمحاربة تشمل القتل، أو أخذ المال أو الإخافة أو الجمع بين القتل وأخذ الأموال، أو بين أخذ الأموال والإخافة، فأجمل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ ثم جاء النشر **(أَنْ يُقَتَّلُوا)** إذا كانت المحاربة قتالا فقط **(أَوْ يُصَلَّبُوا)** أي مع التقتيل إذا جمعوا في المحاربة بين القتل وأخذ المال **(أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ)** إذا جمعوا بين أخذ الأموال والإخافة، **(أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ)** إذا كانت المحاربة إخافة فقط.

15_ الاستـــــخدام:

وهو ذكر لفظ مشترك بين معنيين يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضميرا أو إشارة بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميرا أن يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما.

كما في قوله تعالى :﴿ **مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ (سورة البقرة، الآية 185) فالمراد من الشهر (الهلال) والمراد من الضمير في **(فَلْيَصُمْهُ)** الزمان المعلوم نجد أنّ اللفظ وهو **(الشَّهْر)** ذكر وأريد به معنى، ثم أعيد عليه الضمير بمعنى آخر.

16_ الافـــتـــنان:

وهو الجمع بين فنين مختلفين كالغزل والحماسة والمدح والهجاء والتعزية والتهنئة، كقول عبد الله بن همام السلولي جامعا بين التعزية والتهنئة[1].

رأى العتيق فأجرى ذاك ناظره متيم لجّ في الأشواق خاطره

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 302.

17 _ التجريـــــد:

لـغـــة: إزالة الشيء عن غيره واصطلاحا أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه حتى أنّه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر لها، كما في قول المتنبي:

لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْديهَا وَلا مالُ فَلِيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ

ويأتي التجريد على عدة صور أهمها:

1_ أن يكون بدخول (في) على المنتزع منه، كقولنا: " لك في دارك دار كرمة".

2_ أن يكون بدخول الباء (ب) على المنتزع منه، كقولنا: " لئن سألت فلاحا لتسألن به البحر "، فقد بلغ المنتزع منه من الجود، مبلغا يصح معه أن ينتزع منه بحر في الكرم والعطاء.

3_ أن يكون بدخول (من) على المنتزع منه، كقولهم: " لي من فلان صديق حميم".

ومما سبق ذكره ومن خلال الأمثلة التي سبقت من القرآن الكريم بما أنه خير ما يستدل به لقوة معاني ألفاظه وجزالة الأسلوب فيه، يتضح لنا مدى أهمية توظيف المحسن المعنوي في الكلام، بالإضافة إلى ماهية كل محسن معنوي أشرنا إليه من خلال التعريف والتوضيح المشمول بالمثال الذي يقربنا أكثر إلى مفهوم كل واحد على حدى.

فيتضح لنا كذلك، أنّ المحسنات البديعية هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا، فالقرآن الكريم أثار منذ اللحظات الأولى لنزوله حركة فكرية عند متلقيه، ممّا جعلهم يلتفون إلى ما جاء به في أساليب التعبير والبيان، وينقبون عن كنوزها، ويوازنون بين صنوف الكلام المختلفة.

وفي هذا الشأن يقول الدكتور محمود مصمودي: "غدا القرآن القطب الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية والعقائدية للمسلمين"[1].

المطلب الثانـــي: المحسنات اللفظيـة

وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة، وإن حسن المعنى تبعا لتحسين اللفظ ومن المحسنات اللفظية:

1_ الجنـــاس:

وهو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى، وهو نوعان تام وغير تام وهو من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجمع العبارة على الأذن سهلة ومستساغة فتجد من النفس القبول، وتتأثر به أي تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع[2].

[1] بسيوني عبد الفتاح، دراسة تاريخية لأصول البلاغة، ص206.

[2] عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ص 108.

والجناس التام هو ما اتفق فيه اللفظان في عدد الحروف ونوعها وترتيبها وضبطها.

كقوله تعالى:﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾ (سورة الروم، الآيــة 55). فالساعة الأولى مقصودة بها يوم القيامة أمّا الساعة الثانية تعني المدة الزمنية المعروفة، فهذا اتفاق في اللفظين فقط لا في المعنى، وليس في القرآن الكريم جناس تام، إلاّ في هذه الآية الكريمة.

أمّا الجناس غير تام فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة في الجناس التام. ومن الأمثلة ما يوضح ذلك ما يلي: كقوله تعالى:﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾(سورة الأنعام، الآيـة 26).

ويقــول الشاعر:

يمدّون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

وممّا ذكر عن الجناس ل: " عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد " أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلاّ إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا، أتراك استضعفت تجنيس[1].

[1] أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، نسخة منفحة، ط3، 1939م، ص 12.

2_ الســـجـــــع:

وهو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، كما قال السكاكي: " الأسجاع وهي في النثر كما القوافي في الشعر "، ومثال ذلك في قولـه ﷺ: **(اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا، أعْطِ مُمْسِكًا تلَفًا)**، فقد توافقت الفاصلتين في القول في الحرف الأخير: **(خَلَفًا)**، **(تلَفًا)** ومثال آخر عن ذلك، حيث يقول قائل: " الحرّ إذا وعد وفّى وإذا أعان كفى، وإذا ملك عفّا "[1].

وقال **علي الجارم ومصطفى أمين:** "السّجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر "، ومن هنا قسم البلاغيون السجع الوارد في الشعر إلى نوعين:

أ_ الترصيع:

وقد عرفه **أبو هلال العسكري** وقال: " هو أن يكون حشوا لكلام مسجوعا"[2].

ومثال ذلك ما يلي:

فمكارم أوليتها متبرّعا وجرائم ألغيتها متورّعا

[1] الجارم علي، البلاغة الواضحة، ص 273.

[2] محمد بوزواوي، الحديث في علم العروض والقافية، ص 34.

ب_ التصريـــع:

يعرفه عبد العزيز عتيق فيقول: "هو أن يجانس الشاعر بين شطري البيت الواحد في مطلع قصيدته، أي يجعل العروض مشتبها للضرب وزنا وقافية" وكمثال عن ذلك قول امرؤ القيس في مطلع معلقته.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

3_ الاقـتـــــباس:

وهو أن يدخل الأديب في كلامه شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف على وجه لا يشعر بأنه منه، ويجوز التغيير في الأثر المقتبس، وكمثال يضح ذلك ما قاله الشاعر يتهكم بقاضي مدينة الذي كان يأتمر بأوامر زوجته:

وقاض لنا حكمه باطل وأحكام زوجته ماضيه

فيا ليته لم يكن قاضيا ويا ليتها كانت القاضية

فهذا مقتبس من قوله تعالى:﴿**يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**﴾ (سورة الحاقة الأية 27)

4_ رد الأعجاز على الصدور: هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها[1].

قال الله تعالى:﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ سورة الأنعام الأية (10).

[1] المكرران: المتفقان في اللفظ والمعنى، المتجانسان: المتفقان في اللفظ دون المعنى، الملحقان بهما: الذي يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق.

الآية الكريمة بدئت ب(استهزئ) ثم ختمت ب(يستهزءون) والكلمتان متفقتان في اللفظ والمعنى، وكل كلام في النثر أو بيت في الشعر ثم له هذا، سماه البلاغيون: (رد العجز على الصدر).

5_ لزوم ما لا يلزم: هو أن يؤتى قبل الروي في السجع أو النظام بما ليس لازم نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾ (سورة الضحى الأية 3).

ولزوم ما لا يلزم ضرب من السجع وإن وقع في الشعر، ولا يخفى ما فيه من التكلف وأما ما جاء منه في القرآن فهو غير مقصود، ولا متعمد وإنما جاء تابعا للمعنى ومطلوبا للمقام، واستدعى للمناسبة.

6_ الانسجام: هو سلاسة الألفاظ وسهولة المعاني مع جزالتها وتناسبها وهو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك وغدوية لفظا، حتى تكون الجملة من المنثور والبيت الموزون لهما تأثير في النفوس، نحو:

أدركوا العلم وصونوا أهله من جهول حاد عن تبجيله[1]

فالكلام من خلال هذين البيتين يظهر في شكل يظهر في شكل متناسق يثير انتباه السامع له في حلاوته وسهولة ألفاظه العذبة.

7_ التضمين: هو أن يجعل الأيب كلاما من شعر غيره في أدبه مع التنبيه إن لم يشتهر، وهو يختلف عن الاقتباس بأنه لا يكون من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ويكون في الشعر خاصة، نحو:

[1] أحمد إسماعيل محمد زغلول ملاح، جوهر الكنز، ج1، دار المعارف، الإسكندرية، ص258.

يقول بن العميد: "وأرجوا أن تكون حقيقة أمرك موافقة التقديري فيك فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هو لك، وما ألقى على بصري"

8_حسن الابتداء: هو أن يأتي المتكلم في أول كلامه بعبارة واضحة المعنى عذبة اللفظ، لتجذب السامع إلى الإصغاء بكليته، ويسمى الابتداء حينئذ براعة مطلع، نحو:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في الأفق العلا صعدا[1]

9_ التلميح: وهو الإشارة إلى قصة أو شعر، أو مثل سائر من غير ذكره في الأول نحو: **فوالله ما أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع**

في إشارة إلى حادث استيقاف يوشع للشمس.

10_ التخلـص: وهو الانتقال مما ابتدأت به القصيدة من غزل أو شكوى إلى المقصود مع رعاية المناسة بينهما، بحيث لا يشعر السامع إلا وقد انتقل منه إلى المقصود.

[1] الحديث في البلاغة والعروض، ص55.

الفصل الثاني

أثر البديع في الربع الأخير من القرآن الكـــريم

توطـــئـــة:

لقد شكل القرآن الكريم في إعجازه وبلاغته، مصدر إلهام لعلماء البلاغة ليقفوا على سر هذا الإعجاز، وليدرسوا لغته الفصيحة والبديعة وكان من ضمن ما اجتهدوا في دراسته إن كان للبديع صلة بهذا القرآن بصفته أحد فنون البلاغة، فالقرآن الكريم بالنسبة لهم مرجعا فريدا في اجتهاداتهم المتعلقة أساسا بالدراسات اللغوية، فكانوا يعودون إليه في مطابقة ما وصلوا إليه من تعاريف لفنون البديع، للوقوف على أدائها اللغوي في النصوص، فقد كان علماء البلاغة يستشهدون دائما بالقرآن الكريم، على اعتبار أن البديع قام بدور بارز في الأداء اللغوي في النص القرآني.

فالقرآن في دراسات علماء البلاغة لتكوينه، أنه مكون من ألفاظ وكلمات مختارة بعناية فائقة، فهي مفردات دقيقة وموجبة وكلمات مختارة بعناية فائقة، فهي مفردات دقيقة وموجبة متسقة ومستقرة في مكانها الصحيح، فشكلت جملا مؤثرة في نفس ساميعها بقوة نسجها وجمال موسيقاها، وقد للبديع دور بارز من هذا كله، ما جعل القرآن يأتي في هذه الصورة البالغة الإعجاز بلغة فصيحة وذوق سليم، يقول الدكتور عبد العزيز الحربي: "والبلاغة مصاحبة للعربية، ولكل لغة منذ أن كانت اللغات، ومنذ أن علم الرحمن البيان، وكل ذي ذوق سليم تهتز نفسه وتتحرك مشاعره حين يقرأ ويسمع كل كلام مؤثر، ولم يزل الناس يتمادحون بالفصاحة وصائب القول وحسنه

وكان للعرب في ذلك ميادين للمفاخرة والممادحة بالبيان وجيد الكلام، شعرا ونثرا ونزل القرآن والبيان هو أول تنافس فيه الشعراء الفحول، وتبارى فيه الخطباء"[1].

[1] ينظر: عبد العزيز الحربي، البلاغة الميسرة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ط2، سنة 2011، ص06.

المبحــث الأول: أثر فنون البديع في القرآن الكريـــم.

عندما ازدهر التصنيف في علوم البلاغة، كانت خدمة القرآن مماثلة أمام العلماء الذين كانوا يعدون جهودهم منصبة في هذا المجال حتى إننا لا نكاد كتابا في البلاغة مقصورا على مباحثها النظرية وبعيدا عن خدمة القرآن، فعبد الله ابن المعتز مثلا عندما شرع في البحث عن صنوف (البديع) وفنونه، أشار إلى كثير من آيات الله آيات القرآن، وكان يجعل الشاهد القرآني في مقدمة شواهده.

وحين تكلم على ما سماه الجاحظ المهب الكلامي، قال: "وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب إلى التكلف"[1].

فالبديع في القرآن الكريم لم يمكن مجرد فن بلاغي للتنميق والتزيين، ولا بالعامل الثانوي في وروده بهذا الشكل المعجز، فالبديع عنصر أساسي في إتمام المعنى ووضوحه، كما يوضح ذلك الدكتور أحمد بدوي في قوله: "ليس البديع في يد الفنان حلية تقتسر، ولا زينة يستغني الكلام عنها، ولا زخرفة يأتي دورها بعد أن يكون المعنى قد استوفى تمامه، ولا يجيء مكانه في الرتبة الثالثة بعد استيفاء علمي المعاني والبيان حقهما، فإن الإنتاج الأدبي يبرز إلى الوجود في نظمه الخاص وبه الصور البيانية والمحسنات البديعية دفعة واحدة، فكأنما هذا المحسن البديعي جاء في مكانه ليقوم

[1] ينظر: بسيوني عبد الفتاح، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ص59.

بنصيبه من أداء المعنى أولا، أما ما فيه من جمال لفظي فقد جاء من أن تلك المفردة بالذات يتطلبها المعنى ويقتضي المجيء بها[1].

إن ما ورد في القرآن الكريم من محسنات بديعية، كان في محله في معظم سوره وكان المعنى يتطلبها فما نشعر من جمال لفظي ومعنوي فيه لم يأت إلا من أن اللفظة القرآنية، قد استدعاها المعنى ولم يكن ثمة لفظة أخرى تحل محلها، فلما استقرت في مكانها زاد بها المعنى وضوحا، وهذا هو الأثر الحقيقي الذي تركه البديع في إدراك معاني القرآن وتفسيره، وهذا ما اشتغل عليه عدد من الفقهاء والبلاغيين، ولهذا كذلك عد البديع من علوم البلاغة.

فإذن البديع فن بلاغي أساسي في الإعجاز القرآني وكان له أثر بارز في ورود القرآن الكريم بهذا الشكل الفريد من الجمال والكمال ووضوح معانيه في اللفظ وفي المنى، فكان القرآن بذلك معجزة حيرت العلماء، ومن في قلبه شك، فكان به من الفصاحة والبلاغة ما لا يوجد في غيره من الكتب، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وذلك لعجز قدرة البشر على أن تأتي بمثله، لما فيه من نسج وتركيب لغوي فريد وبديع، وظفت فيه كل المحسنات وما على شاكلتها من قوة الألفاظ وتناسق النصوص وانسجامها.

[1] أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، 2005، ص140.

فقد تحدى الله تعالى العرب آنذاك في لغتهم، فعندما لم يستطيعوا بلوغ ما جاءت عليه من جمال وحسن، وتمام في المعنى، وبما فيها من بديع، ادعوا أن هذا إلا سحر أتى به النبي الأمي.

فبلاغة القرآن وفصاحته كانت الحجة التي أراد الله أن يفحم بها كل من شكك بأن القرآن كلام الله إلى البشر، ولم يأت على هذا النحو المبدع والفريد، إن لم يكن كذلك فالبديع وكما ذكر عدد من العلماء البلاغيين، كان أحد أهم الفنون البلاغية التي أثرت في شكل ومضمون القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المحسنات البديعية في الـربع الأخير من القرآن

المطلب الأول: المحسنات المعنويـة في الـقرآن الكريـم

1_ الطباق أو المطـابقـة:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21)**﴾(سورة فاطر، الآية 21)، في معنى الآية أربعة أمثال للمؤمنين والكافرين وللإيمان والكفر، شبه الكافر بالأعمى والكُفر بالظلمات والحرور والكافر بالميت وشبه المؤمن بالبصير وشبه الإيمان بالنور وشبه المؤمن بالحي[1].

الطباق من الآية:

الأعمى ≠ البصير.

الظلمـات≠ الـــنور.

الظـل ≠ الحرور.

الأحيـاء ≠ الأموات.

قال تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ** ﴾ (سورة غافر الآية 41)، في معنى يتبين لنا أنّه النبي موسى عليه السلام يعجب من دعوتهم إياه

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص 296.

لدينهم مع ما رأوا من حرصه على نصحهم ودعوتهم إلى النجاة وما أتاهم من الدلائل على صحة دعوته وبطلان دعوتهم [1].

الطباق من الآيـة: أدعوكم إلى النّجاة ≠ تدعونني إلى النّار، قال تعالى: ﴿ **لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (سورة الحديد، الآيـة 23).

قال تعالى: ﴿ **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23)** ﴾، (سورة الحاقة، الآيـة 23)، معنى الآيـة إنّ العلو من الارتفاع وهو محاسن الجنان، ومعنى دونها: فرعها من أيدي المتناولين لأنّ ذلك أهنأ إذ لا كلفة فيه[2].

الطبـاق: عاليـة ≠ دانيـة.

قال تعالى: ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)**﴾، (سورة الغاشية، الآية 16). في معنى الآية يتبين لنا وصف لمحاسن الجنة بمحاسن أثاث قصورها فضمير فيها عائد للجنّة باعتبار أنّ ما في قصورها هو مظروف فيها بواسطة[3].

الطباق: مرفوعة ≠ موضوعة

مصفوفة ≠ مبثوثة.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص 151.

[2] المرجع نفسه، ص 133.

[3] ينظر المرجع نفسه، الجزء 30، ص 302.

يقول تعالى: ﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ** ﴾، (سورة الواقعة، الآيـة 9).

الميمنة ≠ المشئمة ← تقابل التضـاد.

2_ المـقـابـلـــة:

هناك سور قرآنية كاملة تقوم في بنائها العام على التقابل ومنها في الربع الأخير من القرآن الكريم[1]

نجد سورة الواقعة التي تتشكل في بنائها العام من مشهدين متقابلين مشهد أهل النعيم ومشهد أهل العذاب، يقول تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآَخِرِينَ (14) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31)**

[1] ينظر: عبد الرزاق، الاعجاز العددي في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ج1، دط، 1989م ص 15 إلى 25.

وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴾، (سورة الواقعة الآيـة 10–34)، هذ المشهد هو عرض تقابل لأهل النعيم يقابله بعد ذلك مشهد أهل العذاب، في قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ** ﴾، (سورة الواقعة، الآيـة 48).

قال تعالى: ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾، (سورة ص، الآيـة 28). المقابلة موجودة بين:

_ المؤمنين والمفسدين.

_ المتقين والفجار.

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾، (سورة الزمر، الآيـة 79)

نجد المقابلة بين:

المؤمنون ← الكفار.

الجنّـة ← جـهنّم.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6)**﴾، (سورة الشمس، الآيـة 6). فهذا المذهب يعبر عن مظاهر الطبيعة المختلفة في الشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض، فهذا المشهد تعبير عن الحركة والتغير من حال إلى حال، فمظاهر الطبيعة بين ارتفاع وهبوط وبين ظهور واختفاء.

3_ الـمبالـغـة:

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾، (سورة فصلت، الآيـة 37) في تفسير الآيـة يتبين لنّا أنّه لا يتساوى فعل الحسنة مع فعل السيئة بالخصلة التي هي أحسن، بل بينهما فرق عظيم في الجزء وحسن العاقبة [1].

أي أنّ الله سبحانه وتعالى بالغ في التساوي بين فعل الحسنة مع فعل السيئة، لأنّ هناك فرق شاسع بينهما. قال تعالى: ﴿ **الحَاقَة ما الحَاقَة**﴾، (سورة الحاقة، الآيـة 2). إنّ المبالغة تظهر في هذا التفسير: حيث أنّ الحاقة اسم للقيامة سميت بذلك لتحقق وقوعها، فهي حق قاطع وأمر واقع لا شك ولا جدال وتكرار كلمة الحاقة لتفخيم شأنها وتعظيم أمرها.

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج29، ص 123.

قال تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ (سورة الفجر، الآية 22) في تفسيرها أي جاء ربك يا محمد لفصل القضاء بين العباد وجاءت الملائكة صفوفا متتابعة صفا بعد صف[1].

4_ التورية:

قال تعالى: ﴿ **وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾، (سورة محمد، الآية 6) أي يدخلهم الجنّة دار النعيم بينها لهم بحيث كل واحد يعلم منزله ويهتدي إليه، يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنّهم ساكنوها منذ خلقوا.[2]

قال تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ (سورة الذاريات، الآية 47) تفسير الآية: أي شيدناها وأحكمنا خلقها بقوة وقدرة.

قال تعالى: ﴿ **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا** ﴾ (سورة الإنسان، الآية 13).

التورية موجودة في هذه الآية وذلك من خلال تفسير الآية: أي يدور على هؤلاء الأبرار، غلمانٌ ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين ومخلدون بمعنى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء [3].

---

[1] المرجع السابق، ص 558.

[2] المرجع نفسه، ج29، ص 207.

[3] المرجع نفسه، ص 495.

قال تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ** ﴾ (سورة الغاشية، الآيـة 8) أي وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة ذات بهجة وحسن وإشراف ونضارة.

5_ اللّف والنشر:

قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾ (سورة غافر، الآيـة 61). أي أنّ الله بقدرته وحكمته هو الذي جعل لكم الليل مظلماً نستريحوا فيه من تعب وعناء العمل بالنهار وجعل النهار مضيئا لتتصرفوا فيه بأسباب الرزق وطلب المعاش.[1]

قال تـعـالى: ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ** ﴾(سورة الزمر الآيـة 19).

يظهر اللف والنشر في الآية من خلال التفسير: أي أفمن وجبت له الشقاوة من الله وجوابه محذوف دلّ عليه ما بعده أي هل تقدر على هدايته؟ لا ثم قال تعالى: أي هل تستطيع يا محمد أنْ تُنفذ من هو في الضلال والهلاك.

قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾ (سورة النبأ، الآيـة 11).

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ**

[1] المرجع السابق، ج24، ص 108.

فَحَدِّثْ﴾ (سورة الضحى، الآيـة 11) وقد قوبلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل بثلاثة أعمال تقابلها فيجوز أنّ يكون على طريقة اللّف والنشر المرتب[1].

6_ الإرصـــاد:

قال تعالى: ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** ﴾ (سورة ق، الآيـة 39). فالمراد بالتسبيح: الصلاة وهو من أسماء الصلاة[2].

قال تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ (سورة الرحمان، الآية 60)

الإحسان الأول: الفعل المحسب، والإحسان الثاني: إعطاء الحسن وهو الخير فالأول من قولهم: أحسن في كذا، والثاني: أحسن إلى فلان[3].

7_ مراعـاة النـظيـــر:

قال تعالى: ﴿ **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** ﴾ (سورة الرحمان، الآيـة 05).

مراعاة النظير: (الشمس والقمر)، فجمع في الآية الكريمة بين الشمس والقمر وهما متناسبان لتقاربهما في الخيال وكونهما كوكبين سماويين.

8_ حسـن الـتـعـلـيـل:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾. (سورة الذاريات، الآيـة 56) واللام في (ليعبدون) لام العلة أيما خلقناهم لعلة إلاّ علة عبادهم إياي والتقدير:

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 401.

[2] المرجع نفسه، ج 26، ص 327.

[3] المرجع نفسه، ص 25.

لإراداتي أن يعبدون، ويدل على هذا التقدير قوله في جملة البيان، وهذا التقدير يلاحظ في كل لأمر ترد في القرآن تعليلا لفعل الله تعالى، أي ما أرضى لوجودهم إلاّ أن يعترفوا لي بالتفرد بالإلهيـة.

9_ الافـتـتـــــان:

قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ** ﴾ (سورة الواقعة، الآيـة 27) فهنا عود إلى نشر ما وقع لغة في قولـه: ﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ** ﴾ (سورة الواقعة، الآية 08).

وعبّر عن هؤلاء هنا: بـ " أصحاب اليمين " وهنالك بـ (أصحاب الميمنة " وذلك من أجل الافتتان.

10_ الإدمـــاج:

قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ** ﴾ (سورة الواقعة، الآيـة 73)

التي تورون = إدماج للامتنان.[1]

وهو وصف للنّار التي تقدح من الزند غير النار الملتهبة والضمير في شجرت**ها** يعود على النار.

[1] ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج7، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية، 1999م، ص 539.

11_ الـمـذهب الكـلامـي:

قوله تعالى: ﴿ **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ (سورة الواقعة، الآيـة 60) في هذه الآيـة ردُ على أهل الزيغ والإلحاد ثم ردُ عليهم في الآيـة ما بعدها، كما أنّ الله سبحانه قادر على النشأة الأولى فقدرته على النشأة الأخرى قادر على النشأة الأولى فقدرته على النشأة الأخرى أولى وأحرى.

المطلب الثـانــي: المحسنات اللفظية من الربع الأخير من القرآن الكريم

1_ السجـع:

قال تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ**﴾ (سورة يس، الآيـة 57)، هنا السجع: تعلمون، فاكهون، متكئون، يدّعون. يعطي جرساً موسيقيا، يأخذ الأسماع والأفهام ويسعد النفس[1].

قال تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ (سورة يس، الآيـة 39). السجع: العليم القديم.

قال تعالى: ﴿ **بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ** ﴾ (سورة الصافات، الآيـة 14). السجع في: يسخرون، يذكرُون يستسخرون.

قال تعـالى: ﴿ **وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** ﴾ (سورة الطور، الآيـة 4).

السجع في: الطور، مسطور، منشور، المعمور.

[1] أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، ص 199.

2_ الـجناس:

قال تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)**﴾ (سورة النجم، الآيـة 1-3).

الجناس: (هوى) و(الهوى) جناس تام.

هوى 01: بمعنى خرّ وسقط.

الهوى 02: بمعنى هوى النفس[1].

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ** ﴾ (سورة غافر، الآية 75).

الجناس: (تفرحون) و(تمرحون) = جناس ناقص لإختلافهم في الحرف.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى** ﴾ (سورة النجم، الآيـة 48).

الجناس: (أغنى) و(أقنى) = جناس ناقص.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ (سورة الحديد، الآية 25).

جناس ناقص: (أرسلنا) و(رسلنا) = زيادة في الحرف وتغيير الشكل.

قال تعالى: ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ (سورة التغابن، الآيـة 03).

جناس ناقص بين: (صوّركم) و(صُوَرَكُمْ) تغيير في الشكل.

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ص210.

قال تعالى: ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾ (سورة القلم، الآية 3).

3_ لـزوم ما لا يلزم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**﴾ (سورة الواقعة، الآية 66-67) المغرمون ومحرومون في الوزن وحرف الراء مع الميم والواو والنون وهناك مماثلة من لزوم ما لا يلزم.

قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (سورة الواقعة، الآية 87).

4_ رد العجز على الصّدر:

قوله تعالى: ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴾ (سورة الواقعة، الآية،2) هذا المثال للفظين (الواقعة) (لوقعتها) المتلاقين في الاشتقاق فيلاحظ رد العجز على الصدر.

قال تعالى: ﴿ **الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** ﴾ (سورة النبأ، الآية 3-5).

رد العجز على الصدر: (سيعلمون) و(سيعلمون).

إذا من خلال الربع الأخير من القرآن وما ورد فيه من محسنات بديعية المعنوية منها واللفظية اتضح لنا مدى تطابق تعريفاتها ووظيفتها في النص القرآني في معظم السور الواردة فيها، وإن لم تشتمل السور على كل المحسنات، لذلك كان الربع الأخير من القرآن نموذجا لتنوع فنون البديع وأثرها في القرآن الكريـم.

ونخلص من هذا أن كلا من المحسنات المعنوية واللفظية يكملان بعضهما البعض ولا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى ذلك أن المحسنات المعنوية مثل (الطباق المقابلة، المبالغة...) تقوي المعنى وترتقي بالدلالات وكذلك هو الأمر بالنسبة للمحسنات اللفظية التي تؤثر في السمع وهو أن تصاغ بلغة فنية بليغة تتلون بألوان البديع الإيقاعية التي تصل إلى ذهن المتلقي أو السامع، ففي القرآن قصص مما ورد في سور الربع الأخير من القرآن عبرٌ وحكم ومعاني جاءت في آيات السور على قدر كبير من التناسق والترتيب شغل خلالها البديع حيّزا واسعا وأدى دوره في الكشف عن وجود الإعجاز في سور الربع الأخير من القرآن الكريم.

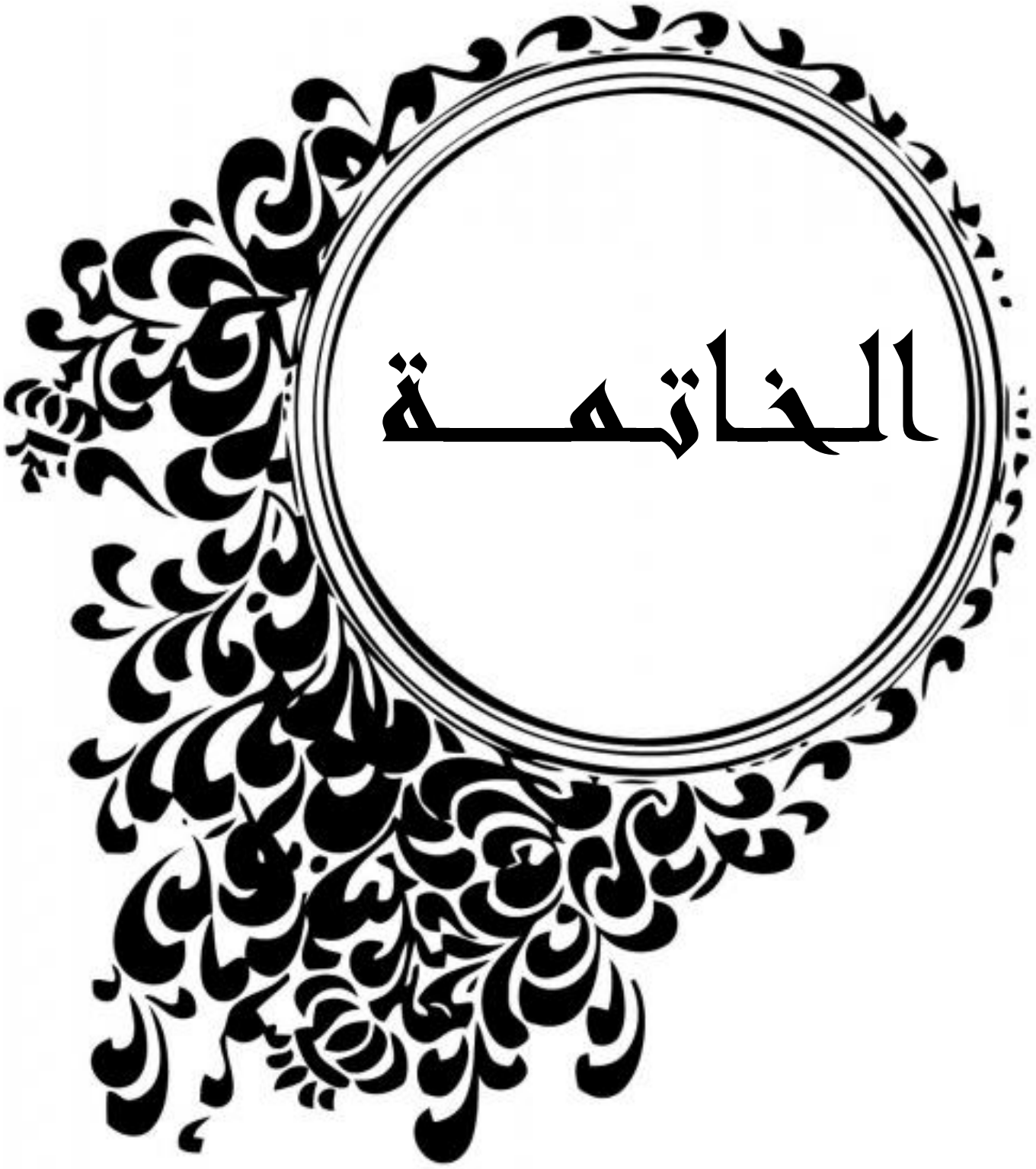
الخاتمة

وفي الختام ومن خلال ما سلف ذكره، نخلص إلى أن البديع في القرآن الكريم كان أحد أهم الفنون البلاغية تأثيرا من حيث البنية الدلالية لمضمونه، فالواقع أن القرآن الكريم في حد ذاته خطاب إلهي منزه عن الخطأ، احتاج إلى لغة بليغة في المعنى وحسنه في المبنى، وليس هناك أقدر من البديع في ذلك بمحسناته المعنوية واللفظية ولذلك كان من أسباب الإعجاز الذي ينفرد به القرآن الكريم من البلاغة والفصاحة فلقد كان منتهى التنافس عند العرب بمقدار التفوق في البلاغة والفصاحة، وقد وصفه أئمة البلاغة بناء على ذلك، بالإبداع والفصاحة والبلاغة، حتى كادوا يجتمعون على تعريفه.

فالبديع من خلال ما عرفه به على ألسن علماء البلاغة العرب، بأنه علم يعرف به وجوه الكلام بعد رعاية تطبيقه مقتضى الحال ووضوح الدلالة، كان له أثر كبير في القرآن الكريم، فمن خلال ما ذكرناه آنفا، وحسب مجهودنا المتواضع، الذي تعرفنا من خلاله على أقسام هذا الفن بمحسناته المعنوية واللفظية، والتي فصلنا فيها تعريفا وتمثيلا، حتى نتمكن من القبض على ماهيتها وكذا في بناء النص القرآني، وكان أكثر من ذلك في الربع الأخير من القرآن الكريم، الذي احتوت سوره وآياته على مختلف فنون البديع، الذي كان له أثر بالغ في توضيح المعنى في السور التي استخرجنا منها الفنون البديعية بأسلوب بلاغي وفني بديع، فإننا نقف على مدى قوة أثر البديع في القرآن وخصوصا على المتلقي ليستوعبه وليتدبر معانيه وليستخلص عبره، ولهذا سماه

البلاغيون بالفصاحة، ونستنتج من هذا كله أن حسن توظيف البديع ينعكس على تمم معنى الكلام ليكون في غاية الفصاحة والبيان.

إذا من خلال الربع الأخير من القرآن الكريم وما ورد فيه من محسنات بديعية اللفظية منها والمعنوية، يتضح لنا مقدار تطابق تعريفاتها ووظيفتها في النص القرآني في معظم السور الواردة فيها، وإن لم تشتمل السور على كل المحسنات فكان الربع الأخير من القرآن نموذجا لتنوع فنون البديع وأثرها فيها، والتي لم تكن لمجرد الزينة والزخرفة الشكلية فحسب، بل كان توظيفها لتحسين الكلام وإتمام معناه، لأن الغاية المرجوة من توظيف فنون البديع كما هو مبين في الربع الأخير من القرآن، هو استثارة النفوس لتلقي السمع لتدبر معانيه واستخلاص عبره.

وأخيـرا فإن البديع شغل من خلال سور القرآن الكريم حيّزا واسعا، وأدى دوره كاملا في توضيح المعنى والدلالة في السور، فقد كان أثره بالغا في سور الربع الأخير من القرآن الكريم، وفي الكشف عن وجود الإعجاز في القرآن الكريـم.

قائمة المصادر
والمراجع

_ القــرآن الكـــريـــم.

_ ابن المعتز، البديـع، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، .1982

_ ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م، د ط.

_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 26.

_ ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج7، دار طيبة للنشر، الطبعة2، 1999م.

_ ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثامن، دار صادر، بيروت، 1999م.

_ أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، نسخة منفحة، ط3، 1939م.

_ أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء الكتب العلمية، عيسى ألبابي الحلبي وشركاؤه، ط1 سنة 1952م.

_ أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، ت، علي البحاوي.

_ أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، 2005.

_ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية بيروت، 1999م.

_ أحمد حسن المراغي، علم البديع في البلاغة العربية، دار العلوم العربية بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

_ الجازم علي، البلاغة الواضحة مع دليلها، ديوان المطبوعات الجامعية وهران دط، الجزائر.

_ الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام هارون، ج4، مكتبة الخانجي القاهرة ط7، 1998م.

_ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت،السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت لبنان،ط3، سنة 2001.

_ الحديث في البلاغة والعروض.

_ الشحات محمد ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، ط1، 1994م جامعة الأزهر.

_ أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، دار التوفيقة للتراث، القاهرة.

_ بسيوني عبد الفتاح، علم البديع دراسة تاريخية وفنية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، دار المعالم الثقافية، ط2، 1998م.

_ حمادي صمو، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره في القرن السادس، المطبعة الرسمية لمنشورات الجامعة التونسية، 1989م.

_ خالد كاظم الحميدي، أساليب البديع في نهج البلاغة في الوظائف الدلالية والجمالية، جامعة الكوفة، العراق، 2011م.

_ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط6، د ت 1999.

_ عبد العزيز بن علي الحربي، البلاغة الميسرة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ط2، 2001.

_ عبد العزيز عتيق، علم البديع في البلاغة العربية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2003م.

_ عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي 1999، القاهرة.

_ محمد بوزواوي، الحديث في علم العروض والقافية.

_ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج29.

_ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ج1، دار القلم، دمشق ط1، 1996م.

_ عبد الرزاق، الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ج1، د. ط، 1989م.

_ محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الومخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2008م.

_ محمد عيسى وأحمد دهمتن، البلاغة العربية، البيان والبديع، جامعة البعث، العراق 2002م.

_ محمد مصمودي، التفكير البلاغي عند العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 2014م.

_ منير سلطان، البديع تأصيل وتحديد، منشأة المشارف بالإسكندرية، مكتبة لسان العرب، 1986م.

الفهرس

العـنـــــــوان	الصفحـة
البسملـة	
شكر وامتنان	
إهـــــداء	
الخـطـــة	
المـقــدمـــــة	أ_ب_ج
المــدخـل: نشأة علم البديع في أحضان علم البلاغـة	1_10
الفصل الأول: البـديـع ماهيـتـه وفـنـونــه.	
المبـحث الأول: تعريف علم البـديـع.	12
المبحث الثانـي: نشأة البديـع	19
المبحث الثالث: الـفـنـون الـبديـعيـة.	27
المطلب الأول: المحسنات المعنويـة.	28
المطلب الثانـي: المحسنات اللفظيـة.	47
الفصل الثانـي: أثر البديع في الربع الأخير من القرآن الكريـم.	
المبحث الأول: أثر فنون البديـع في القرآن الكـريم.	55
المبحث الثاني: المحسنات البديعية في الربع الأخير من القرآن.	58

المطلب الأول: نماذج تطبيقية في المحسنات المعنوية.	58
المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في المحسنات اللفظية.	68
الخـــاتـــمـــة.	73
قائمة المصادر والمراجع	76
الـفهـــــرس	80